العتبة العلوية المقدسة
IMAM ALI HOLY SHRINE

السنة الثامنة عشرة العدد 191
ذو الحجة 1446هـ - 2025م

الولاية

مجلة علمية ثقافية شهرية تصدر عن العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

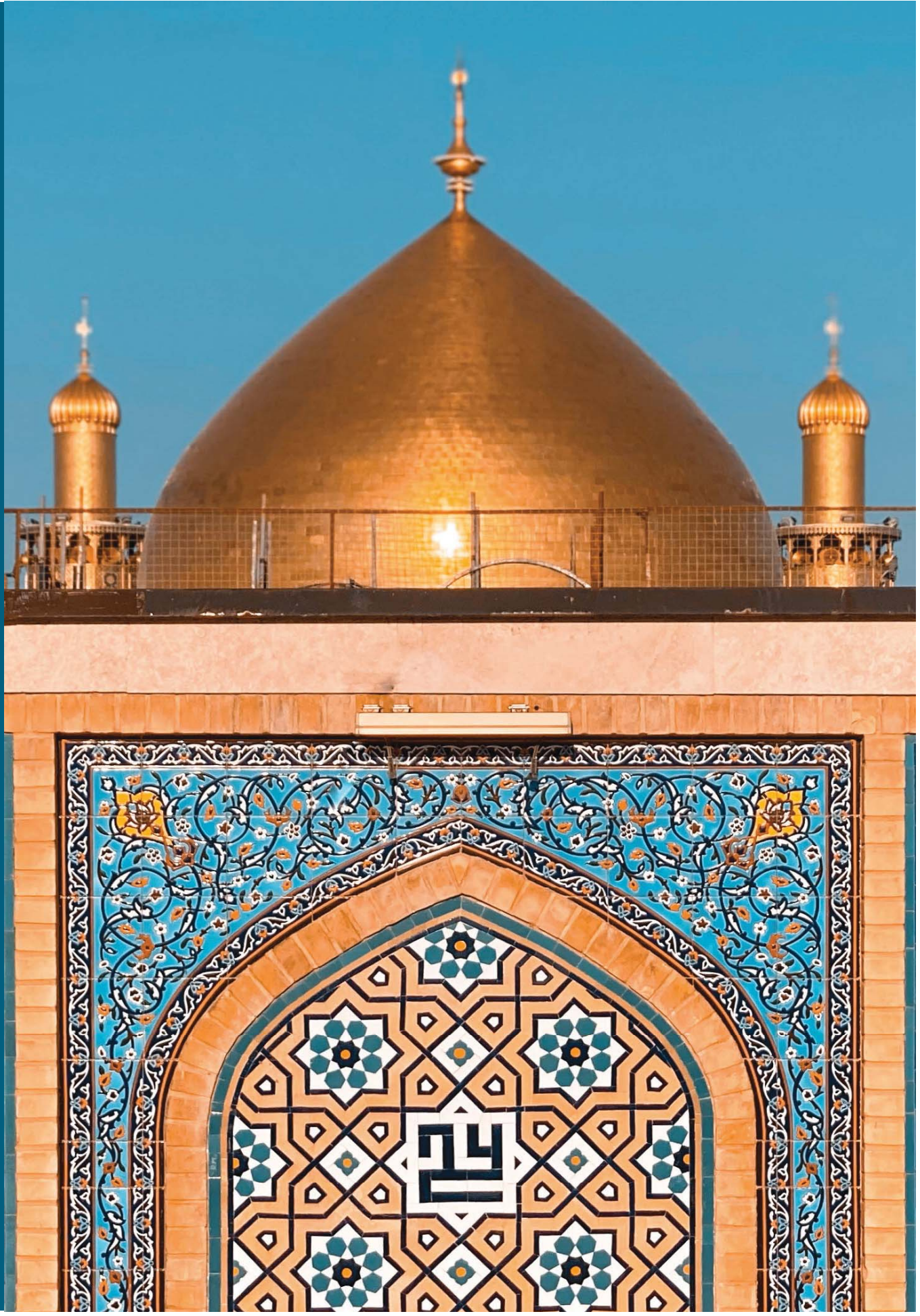

حدث في مثل هذا الشهر

أبرز الأحداث التاريخية
لشهر ذي الحجة

- الأول منه زواج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من فاطمة الزهراء عليها السلام سنة ٢هـ.
- الثالث منه دخول النبي صلى الله عليه واله مكة في حجة الوداع سنة ١٠هـ.
- السابع منه شهادة الإمام الباقر عليه السلام سنة ١١٤هـ.
- الثامن منه خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة إلى الكوفة سنة ٦٠هـ.
- التاسع منه يوم عرفة.
- العاشر منه عيد الأضحى.
- الثامن عشر منه عيد الغدير الأغر سنة ١٠هـ.
- الرابع والعشرين منه يوم المباهلة.

المشرف العام	السيد عيسى الخرسان
رئيس التحرير	د. محسن عبد العظيم الخاقاني
مدير التحرير	د. حسين فاضل الحكيم
سكرتير التحرير	هشام أموري السماك
المحررون	هاشم محمد الباججي حيدر رزاق الكعبي عبد الحسن هادي الشافعي حمود حسين الصراف رياض مجيد الخزرجي
التصحيح اللغوي	صلاح مهدي الحلو
السلامة الفكرية	فاروق محسن عباس
تصميم الغلاف وتوليد الصور	حسين علاء التميمي
التصميم والاخراج	صباح حسن الدجيلي احمد مكي جعفر القرشي
الاعمدة والبوسترات	ضياء نسيم حرز الدين

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (1121) للعام 2008م
رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين العراقيين (744)
alwelayh.com - info@alwelayh.com - 07700553150

غديرُ المحبّةِ الهادر
العهـد الغيبيّ المعهود

السيد عيسى الخرسان
الأمين العام

لم يكن يجرِ ذلك الجدول الهادر من غدير خمٍّ في حرارة الصيف، وعند ارتفاع قرص الشمس القائظ لولا أنه كان يجري ابتداءً في أوتية المحبّين وأعضائهم.

نحنُ الذين تفضّل الله تعالى علينا بأعظم النعم، نحنُ أصحاب الشهادة الثالثة التي بها أكمل الله تعالى الدين وأتمَّ النعمة، نشهدُ أننا قد عرضنا على أنفسنا كلَّ الأسباب المنطقية والعقلية والدنيوية والأخروية مجتمعة، والتي من شأنها تعليل محبّة أمير المؤمنين أرواحنا لذكر اسمه الفداء وتسويغها، فلم نجدها كافية لإرواء هذا العطش العشقي لهذا الخلق العظيم الممتد في عظمته.

حبُّ أمير المؤمنين ضرورة وجودية غرسها الله تعالى في قلوب الخيّرين جميعًا، وإن اختلفوا في تفسيرها، أو ضلّوا في الوصول إليها، لكنها أعلى وأعظم من كلِّ محاولة لتخليق هذه الضرورة بمفاهيم دينية وعقلية وفلسفية.

أترى هذه المحبّة مرتبطة بتصوّراتٍ فكريةٍ قبلية أو بعدية؟ أم أنها متعلقةٌ بنياط العاطفة والشعور؟ أم أنها تملأ المساحة كلّها بين هذه وتلك؟

عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه، هو التجسيدُ الجوهريُّ والحقيقيُّ لكلِّ مصاديق الخير والحق والكمال، وعلى الرغم من هذا المعنى التام المطلق، لكنّه -مع علو دلالته- ليس غير تمظهرٍ أو تشكّلٍ ينتمي إلى هذه النشأة فحسب، أما محبّته -لا عدمنا محبّته- فإنها تتّسعُ لتملأ النشأتين وما بينهما، حتى ليشعر محبُّهُ بأنهُ مدفوعٌ لحبّهِ دفعًا غيبيًا لا يدركهُ، وليس له عليه ثمّة سلطان، ولا يزال الشيعة يتعاهدونها جيلًا بعد جيل، وهذا لعمري من أعجب الأعاجيب!

فكلُّ غديرٍ ونحنُ على قلبٍ واحد ينبض بحبِّ العشق الأكبر والروح الأطهر، علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه.

٨ قـــــــاف
١٤ الكلـــم الطيـــب
٢٢ حتى يتفقهوا
٢٨ بلسان علوي مبين
٤٠ الصراط المستقيم
٥٠ لســانُ الأُمّـة
٥٨ قرة الأعين
٦٨ حـوار العـدد

٧٤ ببليوغرافيا العلوم

٨٦ شؤون دولية

٩٢ الشرق والغرب

١٠٠ ذاكرة الأمم

١١٤ لاذوا بالجـــوار

قـــــاف

قاعدة تعدد السياق وأثرها في تعيين المراد الإلهـــي
آية إكمـــال الدين مثـــــالًا

م.د. ساجـــد صبـاح العسكـــري
جامعة الإمام جعفر الصادق ﷺ - فرع ذي قار

قاعدة تعدد السياق وأثرها في تعيين المراد الإلهي آية إكمال الدين مثالًا

م.د. ساجد صباح العسكري
جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام - فرع ذي قار

السياق في الآية الواحدة ليس بالضرورة أنْ يكون واحدًا، بل قد تكون سياقات متعددة، فيختلف سياق أولها عن أوسطها وعن آخرها، وهذا لا يعني أنَّ الآية متناثرة وغير متصلة، بل هو كلام متصلٌ متصرفٌ على وجوه، وتكون دلالة السياق غير حتمية، وإنما هي إمكانية لغوية لا غير، فلا يمكن الاكتفاء بها لوحدها في فهم النص القرآني بمعزل عن القرائن الأخرى.

يُراد بالسياق: علاقة البناء الكلّي للنصّ بأيّ جزء من أجزائه وهو ما يسمى بالسياق المقالي، وقد يشمل كل قرينة تسهم في ايضاح المعنى نحو: بيئة الكلام ومحيطه وقرائنه[1].

ويُقصد بتعدد السياق، أنّ الآية القرآنية الواحدة قد تشتمل على أكثر من موضوع فتتعدد السياقات بتعدد الموضوعات فيها.

ويمكن التأسيس لقاعدة تعدد السياق من طريق ماجاء عن المعصومين عليهم السلام، فقد روى العياشي بسنده عن جابر قال: ((قال أبو عبد الله عليه السلام: يا جابر إنَّ للقرآن بطنًا وللبطن ظهرًا ثم قال: يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال منه، إن الآية لتنزل أولها في شيء وأوسطها في شيء، وآخرها في شيء، وهو كلام متصل يتصرف على وجوه))[2].

والرواية المتقدمة أوضحت أنْ السياق في الآية الواحدة ليس بالضرورة أنْ يكون واحدًا، بل قد تكون سياقات متعددة، فيختلف سياق أولها عن أوسطها وعن آخرها، وهذا لا يعني أن الآية متناثرة وغير متصلة، بل هو كلام متصلٌ متصرفٌ على وجوه، وتكون دلالة السياق غير حتمية، وإنما هي إمكانية لغوية لا غير، فلا يمكن الاكتفاء بها لوحدها في فهم النص القرآني بمعزل عن القرائن الأخرى.

ومن الأمثلة على قاعدة تعدد السياق ما جاء في قوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [المائدة: ٣].

نجد أنّ الآية جاءت بسياقات متعددة، فالآية ابتدأت بذكر المحرمات من الطعام، وأوسطها موضوع إكمال الدين، وآخرها الترخيص في أكل المحرمات عند الاضطرار فأحيطت الآية بإطار لتأدية وظيفتين هما: التنبيه القسري لأهمية الموضوع ولحفظها من التحريف.

وتعدد السياق في الآية واضح جدًا لاشتمالها على حكمين مختلفين الأول تكويني مشتمل على البشرى من وجه والتحذير من وجه آخر، والحكم الثاني تشريعي منبئ عن الامتنان[3].

وقد فسر بعضهم معنى إكمال الدين بإتمام الأحكام وهذا لا ينسجم مع نزول أحكام بعد ذلك كميراث الكلالة وآية الدَين.

وبالاعتماد على سبب النزول بوصفه قرينة حالية من طريقها يتبين تعدد السياق في الآية محل البحث، فقد روى علماء الإمامية وبعض العامة أنّها نزلت في غدير خم، كما روى الكليني بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: ((وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله عز وجل: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**))[4]، وذهب إلى ذلك بعض علماء العامة أنّها نزلت في غدير خم: كالطبري في كتابه الولاية[5] والحافظ بن مردويه الاصفهاني كما نقل عنه السيوطي في الدر المنثور وابن كثير في تفسيره[6] والحافظ ابو نعيم الاصبهاني

في كتابه: ما نزل من القرآن في علي[٥].

ولم يسلم سبب النزول هذا من الدّس والوضع بهدف واضح وعداء فاضح، فقد روي أنها نزلت في عرفة يوم التاسع من ذي الحجة[٦].

وهذا القول محل رفضٍ من قبل علماء الإمامية والعامة، وقد أشار السيوطي في الإتقان إلى ذلك بقوله: «من المشكل على ما تقدم قوله تعالى: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع وظاهرها إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها وقد صرَّح بذلك جماعة منهم: السدي فقال لم ينزل بعدها حلال ولا حرام مع أنه وارد في آية الربا والدَين والكلالة أنها نزلت بعد ذلك»[٧].

لذا تحيَّر بعض مفسري الجمهور في توجيه معنى الآية بعدما التزموا بوحدة السياق فإن تمام يأس الكفار إنما كان يتحقق عند الاعتبار الصحيح بأن ينصِّب الله لهذا الدين من يقوم مقام النبي ﷺ في حفظه وتدبير أمره، وإرشاد الأمة القائمة به فيتعقب ذلك يأس الذين كفروا من دين المسلمين وتلاشي أمنياتهم بزوال الدين عند رحيل الرسول الأكرم ﷺ[٨].

وعند دراسة السياق العمودي للآية نجد أن هناك وحدة موضوع بين هذه الآية، وآية ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ...**﴾ [المائدة: ٦٧]، وقد أشار العلامة الطباطبائي إلى ذلك بقوله: «لا إشكال في أن الفقرتين أعني قوله: ﴿**الْيَوْمَ يَئِسَ**﴾ وقوله: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**﴾ في الآية مرتبطتان مسوقتان لغرض واحد، وقد تقدم بيانه، فالدين الذي أكمله الله اليوم، والنعمة التي أتمها اليوم -وهما أمر واحد بحسب الحقيقة- هو الذي كان يطمع فيه الكفار ويخشاهم فيه المؤمنون فأيسهم الله منه وأكمله وأتمّه، ونهاهم عن أن يخشوهم فيه، فالذي أمرهم بالخشية من نفسه فيه هو ذاك بعينه وهو أنْ ينزع الله الدين من أيديهم، ويسلبهم هذه النعمة الموهوبة»[٩].

ومما تقدم يتضح أنّ لقاعدة تعدد السياق أثراً مهماً في توجيه المعنى التفسيري، وإغفال العمل بها يجعل من التفسير متخبطًا لافتراض سياق واحد مما يجعله مجانبًا للحقيقة وبعيدًا عن المراد الإلهي.

ظ: مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب: ٨.
تفسير العياشي: ١/ ١١.
ظ: الطباطبائي، تفسير الميزان: ٥/ ١٧٧.
الكافي: ١/ ٢٨٩.
ظ: الأميني، الغدير: ١/ ٢٣٠-١٣٢.
ظ: صحيح البخاري: ١/ ١٦.
الاتقان، السيوطي: ١/ ٨٦.
م، ن: ١٧٦.
ظ: الطباطبائي، تفسير الميزان: ٥/ ١٧٨.

ترجيح المعنى بين السياق وسبب النـــــزول

يحتكم بعض المفسرين إلى قرينة السياق بين الآيات في ترجيح أحد المعاني، ويجعله الأصل الذي لا يمكن أنْ يحيد عنه، متناسيًا لأمرين رئيسين: الأول: إنَّ ترتيب الآيات لم يكن وفق ترتيب النزول ولم تكن بعض السور ولا سيما الطوال منها- لتنزل آياتها جميعها دفعةً واحدةً، وما لهذا الأمر من أثرٍ على ترابط السياق واستمراره في الآيات، والثاني: إنّ قرينة السياق تأتي بالمرتبة التالية للخبر الصحيح في سبب نزول الآية، فلابد من القطع بعدم وجود خبرٍ يحكي سبب نزول الآية ومن ثم الركون إلى تحكيم السياق في بيان المراد.

ومما أُدعي فيه إلى ضرورة تحكيم السياق مع إغفال سبب النزول ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، فالمدى أنها واردة في سياق النهي عن اتخاذ الكفار أولياء، وأن المراد منها النصرة وليس الإمامة؛ لأنّ ما قبل هذه الآية ما تدلّ على معنى الناصر، فقبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ﴾ [المائدة: ٥١] وليس المراد لا تتخذوا اليهود والنصارى أئمة متصرفين في أرواحكم وأموالكم، بل المراد لا تتخذوا اليهود والنصارى أحبابًا وأنصارًا، وأما ما بعد هذه الآية فأعاد النهي عن اتخاذ اليهود والنصارى والكفار أولياء، فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧]، ولا شك أنّ الولاية المنهي عنها هي الولاية بمعنى النصرة، فمَن تأمّل في مقدمة آية الولاية وفي مؤخرها قطع بأن الولي في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ ليس إلا بمعنى الناصر والمحب، ولا يمكن أن يكون بمعنى الإمام؛ لأنّ ذلك يكون إلقاء كلام أجنبي فيما بين كلامين مسوقين لغرض واحد[1].

ولا يمكن قبول هذا المعنى ولا يمكن الاعتماد على السياق بين الآيات مع ثبوت دليل روائي يخالفه؛ لأنّ «المسلمين كافة متفقون على ترجيح الأدلة على السياق، فإذا حصل التعارض بين السياق والدليل تركوا مدلول السياق، واستسلموا لحكم الدليل»[2]، والسبب في ذلك هو أنّ ترتيب الكتاب العزيز لم يكن موافقًا في النزول بإجماع الأمة، فيمكن لآية -كآية الولاية- أنّ يكون لها معنىً يختلف عما قبلها وما بعدها، ونظير ذلك واقع في آية التطهر: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، والتي اتفق المسلمون على أنها نازلة بخصوص الخمسة أهل الكساء عليهم السلام -بغض النظر عمن يرى شمول نساء النبي صلى الله عليه وآله معهم؛ مع أنّ انتظامها في سياق الآيات التي مما قبلها وبعده- أتحدث عن نساء النبي صلى الله عليه وآله، في حين ورد أن النبي صلى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية ((كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر كلما خرج إلى الصلاة فيقول: الصلاة أهل ا لبيت

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣].

والمحصلة فإنَّ حمل الآية على ما يخالف سياقها غير مخل بالإعجاز ولا مضر بالبلاغة القرآنية بسبب معرفة ترتيب الآيات وأسباب النزول(٥)، وسبب نزول آية الولاية ذكره الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) في تفسيره الكبير وتابعه الثعلبي (ت: ٤٢٧ هـ) في تفسيره الكشف والبيان في خبرٍ جاء في نصّه: ((روي أنّ عبد الله بن عبّاس كان ذات يوم جالسًا عند شفير زمزم يقول: قال رسول الله ﷺ، إذ أقبل رجل متعمم بعمامة، فجعل ابن عباس لا يقول: قال رسول الله ﷺ إلاّ قال ذلك الرّجل: قال رسول الله ﷺ؟ فقال ابن عبّاس: سألتك بالله من أنت؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال: أيّها النّاس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة البدريّ، أنا أبو ذرّ الغفّاريّ، سمعت رسول الله ﷺ بهاتين وإلاّ فصمّتا، ورأيته بهاتين وإلاّ فعميتا، يقول: علي قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره، مخذول من خذله، أما إنّي صلّيت مع رسول الله ﷺ يومًا من الأيّام صلاة الظّهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطهِ أحد، فرفع السّائل رأسه إلى السّماء وقال: اللهمّ اشهد أنّي سألت في مسجد رسولك ﷺ يومًا من الأيّام فلم يعطني أحد، وكان عليّ راكعًا فأومأ إليه نحوه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم، فأخذ السّائل الخاتم من خنصره وذلك بحضرة النّبيّ ﷺ، فلمّا فرغ من صلاته رفع رسول الله ﷺ رأسه إلى السّماء قال: اللهمّ أخي موسى سألك فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٥-٣٢] فأنزلت عليه: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا﴾ [القصص: ٣٥]، اللهمّ وأنا محمّد نبيّك وصفيّك، اللهمّ فاشرح لي صدري، ويسّر لي أمري، واجعل لي وزيرًا من أهلي عليًّا اشدد به ظهري، قال أبو ذرّ: فما استتمّ رسول الله ﷺ الكلام حتّى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ [المائدة: ٥٥]))[٥].

١- ظ: الرازي، مفاتيح الغيب: ١٢/ ٣٨٤.
٢- شرف الدين، المراجعات: ١٦١.
٣- الطبري، تفسير الطبري: ٦ / ١٢.
٤- ظ: شرف الدين، المراجعات: ١٦١.
٥- الطبراني، التفسير الكبير: ٢/ ٤١٥-٤١٥، ظ: الثعلبي، تفسير الكشف والبيان: ١١/ ٣٩٢-٣٩٤.

الكلم الطيّب

ولايـــــة الأميـر
في خطبــة الغديــر

الشيخ نعيم حسيني
جامعة الكوفة / مركز دراسات الكوفة

ولايـــة الأميـر في خطبـة الغدير

الشيخ نعيم حسيني
جامعة الكوفة / مركز دراسات الكوفة

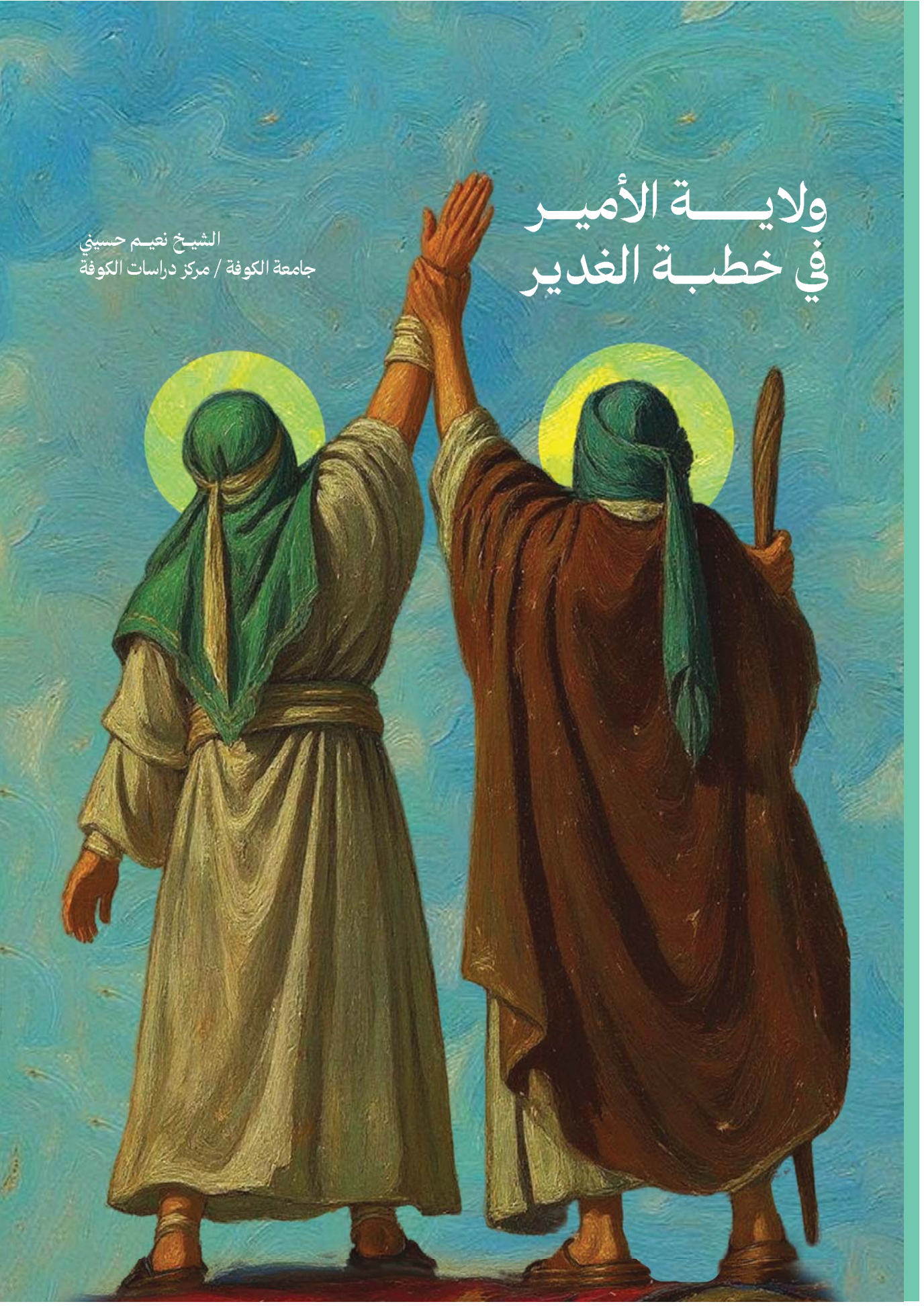

إنَّ حديث الغدير - وهو جزء من الخطبة الغديريّة للنبي الأكرم ﷺ - حديث متواترٌ منقولٌ من طرق الشيعة والسنة بما يزيد على مئة طريق ، وقد روي عن جمعٍ كثيرٍ من الصحابة.

الفقرة الشهيرة المتواترة منه هي فقرة (من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه).

البحث عن مدلول كلمة «مولى» صار مساراً للجدليات الكثيرة بين العلماء وبين أتباع مذهبي الشيعة والسنة، هل المولى يدلّ على الإمامة والإمرة والخلافة لعلي بن أبي طالب عليه السلام كما يزعمه الشيعة، أو المفهوم من هذه الكلمة هو المحبّة والصداقة والمودة والتقرب إلى ابن عم النبي وأهل البيت عليهم السلام كما عليه أهل السنة؟ إذن هناك رؤيتان هما عام وخاص مطلق.

هذا مع أنَّ الطريق المناسب لحلّ هذه الإشكالية هو الانتباه إلى قرائن الكلام، الركن الرئيس للمواجهة مع هذه القضية هو التركيز على أنَّ العقلاء يعتمدون في قضايا شتى على القرائن ولو كانت ضعيفة ويفرقون بين الكلام الضعيف سنداً والكلام المجعول والكاذب، الكلام المجعول ليس له شيء من الحجية، ولكن الكلام الضعيف، لو تعدد وتكرّر، يمكن أن يؤدي إلى الاطمئنان عند العقلاء.

المعلومات العامة للخطبة:

كما هو المشهور، لم يكتفِ النبي في ذلك اليوم ببيان هذه العبارة القصيرة فحسب، بل قام بإلقاء خطبة طويلة، هذه الخطبة، حتى مع فرض ضعف سندها لشخص، ليست مجعولة حتى لايستطيع أحدٌ العناية بها، المرور الإجمالي على نص هذه الخطبة لا يبقي مجالاً لذرة شك في مراد النبي الأعظم ﷺ من تلك الخطبة.

هناك نص الخطبة في ثلاثة مستويات، «الخطبة القصيرة بين ٢٥٠(مئتين وخمسين) إلى ٤٠٠ (أربع مئة) كلمة.

الخطبة المتوسطة التي لها حوالي ٧٠٠ (سبع مئة) كلمة.

أما الخطبة الطويلة التي نحن نستفيد منها في هذا البحث و«لها حوالي ٣٥٠٠ (ثلاثة آلاف وخمس مئة) كلمة ونراها في تصانيف متعددة» هي ما روي في كتاب «الإحتجاج على أهل اللجاج» للطبرسي المتوفى في القرن السادس.

هذا مع أنه بشكل عام، تم نقل هذه الخطبة عن ثلاثة طرق ومع أربعة أسانيد، الطرق تصل إلى الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام(بسندين) وزيد بن أرقم وحذيفة بن اليمان.

بما أنَّ هذه الخطبة تم إلقاؤها مباشرة لبيان قضية الولاية والإمامة والنبي ﷺ قام ببيان هذه المسألة بتعابير متنوعة وبأشكال عديدة حتى تتم الحجة على الناس، ولاتوجد أي ذريعة للمخالفة في هذا الأمر، هناك فقرات كثيرة ذات علاقة بمقولة الولاية والإمامة إما تصريحاً أو تلميحاً.

١ - ولاية أمير المؤمنين عليه السلام

هناك فقرات عديدة في هذه الخطبة استعمال الرسول ﷺ فيها كلمة «الولاية» وبالتأكيد لم

يكن مراده المحبة والعلاقة الوديّة مع علي بن أبي طالب عليه السلام فحسب وذلك واضحٌ مع وجود قرينة صارفةٍ لمعنى الولاية عن المحبة الصرفة.

«فَاعْلَمُوا مَعَاشِرَ النَّاسِ أَنَّ اللهَ قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيّاً وإِمَاماً مُفْتَرَضاً طَاعَتُهُ»

٢- إمامة أمير المؤمنين عليه السلام

كان رسول الله صلى الله عليه وآله في بداية كلامه قد بيّن للناس سبب الآية التي أنزلت إليه في قضية التبليغ، إذ قال:

«إِنَّ جَبْرَئِيلَ هَبَطَ إِلَيَّ مِرَاراً ثَلَاثاً يَأْمُرُنِي عَنِ السَّلَامِ رَبِّي وهُوَ السَّلَامُ أَنْ أَقُومَ فِي هَذَا الْمَشْهَدِ فَأُعْلِمَ كُلَّ أَبْيَضَ وأَسْوَدَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَخِي ووَصِيِّي وخَلِيفَتِي والْإِمَامُ مِنْ بَعْدِي».

٣- إمرة المؤمنين لأمير المؤمنين عليه السلام

من اختصاصات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه لايجوز استعمال تعبير أمير المؤمنين لغيره من أئمة أهل البيت عليهم السلام، كما نرى في الخطبة أيضاً:

«أَلَا إِنَّهُ لَيْسَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أَخِي هَذَا ولَا تَحِلُّ إِمْرَةُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدِي لِأَحَدٍ غَيْرِه».

٤- خلافة أمير المؤمنين عليه السلام:

من الأمور التي يشير إليها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في هذه الخطبة - وهي صريحة في أمر الإمامة والخلافة لأمير المؤمنين عليه السلام- هو التعبير بكلمة «الخلافة»، الخليفة يقوم بأعمال المستخلف عنه وهو في أدب المسلمين ليس له معنىً سوى الحاكم والسلطان الشرعي، قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله :

«إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخِي ووَصِيِّي وخَلِيفَتِي والْإِمَامُ مِنْ بَعْدِي الَّذِي مَحَلُّهُ مِنِّي مَحَلُّ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي».

٥- وصاية أمير المؤمنين عليه السلام:

الوصي هو شخص يقوم بأعمال شخص يتوفى الله نفسه ويموت، هذا أمر يستفاد من معناه اللغوي، ولكن بالنسبة إلى الأنبياء التعبير بالوصي له معنىً قريبٌ بمعنى الخليفة:

هناك موضعان يشير فيهما الرسول صلى الله عليه وآله إلى وصاية أمير المؤمنين عليه السلام أحدهما هو:

«إِنَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ وهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَخِي ووَصِيِّي ومُوَالاتُهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ أَنْزَلَهَا عَلَيَّ».

٦- وجوب طاعة أمير المؤمنين عليه السلام:

حتى الآن، كنا نستفيد من بعض الكلمات والتعابير لفهم ضرورة الإطاعة من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كوَلي حق والخليفة الحق ووصيّ الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والإمام المنصوب من جانب الله تبارك وتعالى، لكن هناك بعض العبارات الأخرى هي صريحة بشكل أو بآخر لطلب الإطاعة وهو الأمر بالطاعة،

في موضع يؤكد على أن طاعته فرض وواجب على الجميع ويسمي هذا الجميع بطوائفهم ويعدهم:

«فَاعْلَمُوا مَعَاشِرَ النَّاسِ أَنَّ اللهَ قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيّاً وإِمَاماً مُفْتَرَضاً طَاعَتُهُ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ والْأَنْصَارِ وعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وعَلَى الْبَادِي والْحَاضِرِ وعَلَى الْأَعْجَمِيِّ والْعَرَبِيِّ والْحُرِّ والْمَمْلُوكِ والصَّغِيرِ والْكَبِيرِ وعَلَى الْأَبْيَضِ والْأَسْوَدِ وعَلَى كُلِّ مُوَحِّدٍ مَاضٍ حُكْمُهُ جَائِزٍ قَوْلُهُ نَافِذٍ أَمْرُهُ مَلْعُونٌ مَنْ خَالَفَهُ مَرْحُومٌ مَنْ تَبِعَهُ مُؤْمِنٌ مَنْ صَدَّقَهُ فَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ ولِمَنْ سَمِعَ مِنْهُ وأَطَاعَ لَه».

٧- لعن مخالفي وأعداء أمير المؤمنين عليه السلام:

المشهور أنه تعرف الأشياء بأضدادها، لو فرض أن يبقى لأحد ذرة شك أو توهم بأن له مجال أو جواز لعدم امتثال أمر النبي صلى الله عليه وآله أو لانحراف ما طلبه من الناس حول أمير المؤمنين عليه السلام، فهو يلعن في هذه الخطبة مخالفي وأعداء علي بن أبي طالب عليه السلام حتى تتم عليهم الحجة:

«...مَاضٍ حُكْمُهُ جَائِزٍ قَوْلُهُ نَافِذٍ أَمْرُهُ مَلْعُونٌ مَنْ خَالَفَهُ مَرْحُومٌ مَنْ تَبِعَهُ مُؤْمِنٌ مَنْ صَدَّقَهُ فَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ ولِمَنْ سَمِعَ مِنْهُ وأَطَاعَ لَه».

٨-المعلم أمير المؤمنين عليه السلام:

الحصر في من يبين القرآن ويفسره بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، لايحتاج إلى شيء آخر لفهم وجوب وجعل امتثال ما يطلب الشخص المبيِّن وشتان ما بينه وبين الأمر بإظهار المودة للمفسِّر!

«مَعَاشِرَ النَّاسِ تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ وافْهَمُوا آيَاتِهِ وانْظُرُوا إِلَى مُحْكَمَاتِهِ ولَا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهُ فَوَ اللهِ لَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ زَوَاجِرَهُ ولَا يُوَضِّحُ لَكُمْ تَفْسِيرَهُ إِلَّا الَّذِي أَنَا آخِذٌ بِيَدِهِ ومُصْعِدُهُ إِلَيَّ وشَائِلٌ بِعَضُدِهِ ومُعْلِمُكُمْ:

٩- البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام:

أما البيعة في مجال السياسة لها معنىً واضحٌ وبديهيٌّ، طلب البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام من جانب رسول الله صلى الله عليه وآله في أكثر من مرة في خطبة واحدة، كيف التوفيق بينه وبين وجوب إظهار المحبة إليه فحسب؟! مثلاً:

«أَلَا وإِنِّي قَدْ بَايَعْتُ اللهَ وعَلِيٌّ قَدْ بَايَعَنِي وأَنَا آخِذُكُمْ بِالْبَيْعَةِ لَهُ عَنِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ».

يظهر من هذا القول أن النبي صلى الله عليه وآله يريد من هذه البيعة هو وجوب الاتباع وليس اظهار المحبة.

١٠- غصب حق أمير المؤمنين عليه السلام:

في الفقرات الأخيرة للخطبة، ينبّئ النبي صلى الله عليه وآله بأنه سوف يُغصب هذا المنصب الإلهي، التعبير بالغصب يعني ليس لغيره حق في هذا الأمر وإلاّ لا يكون غاصباً كما الغصب لايلائم المودة والمحبَّة، هذا مع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يشير بأن الغاصبين هم أصحاب الصحيفة وهؤلاء مدرجة أسماؤهم في التاريخ.

«سَيَجْعَلُونَهَا مُلْكاً واغْتِصَاباً أَلَا لَعَنَ اللهُ الْغَاصِبِينَ والْمُغْتَصِبِينَ وعِنْدَهَا سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّتُهَا الثَّقَلانِ فَيُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُواظٌ مِنْ نارٍ ونُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرانِ».

وفي الختام، مع الانتباه لهذه القرائن، فإن الناظر المنصف لايستطيع أنْ يحتمل أنّ القصد الرئيس لواقعة الغدير، كان أمراً غير إعلان الإمامة والخلافة لابن عم النبي صلى الله عليه وآله، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

دلالة حديث المنزلة
على خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام)

لا ريب في أنّ هارون عليه السلام كان خليفة لموسى عليه السلام، إذ قال تعالى عن لسان موسى يخاطب هارون: ﴿... اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

فكان هارون خليفة لموسى، وعلي بحكم حديث المنزلة خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله، فيكون هذا الحديث نصّاً في الخلافة والإمامة والولاية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن جملة آثار هذه الخلافة: وجوب الطاعة المطلقة، ووجوب الانقياد المطلق، والطاعة المطلقة والانقياد المطلق يستلزمان الإمامة والولاية العامة.

ولا يتوهمنّ أحدٌ بأنّ وجوب إطاعة هارون ووجوب الانقياد المطلق له كان من آثار نبوّته وأحكامها، لا من آثار خلافته عن موسى وأحكامها، حتّى لا تجب الإطاعة المطلقة لعلي: لأنه لم يكن نبيّاً.

هذا التوهم باطلٌ ومردودٌ، وإنْ وقع في بعض الكتب والمصادر، وذلك لانّ وجوب الإطاعة المطلقة إنْ كان من آثار النبوّة لا من آثار الخلافة، إذن لم يثبت وجوب الإطاعة للمشايخ الثلاثة، لأنهم لم يكونوا أنبياء، وأيضاً: لم يثبت وجوب الإطاعة المطلقة لعلي في المرتبة الرابعة التي يقولون بها له عليه السلام، إذ ليس حينئذ نبيّاً، بل هو خليفة.

فإذن، وجوب الإطاعة لهارون كان بحكم خلافته عن موسى لا بحكم نبوّته، وحينئذ تجب الإطاعة المطلقة لعلي عليه السلام بحكم خلافته عن رسول الله، وبحكم تنزيله من رسول الله منزلة هارون من موسى. فالمناقشة من هذه الناحية مردودة.

وإذا رجعنا إلى الكتب المعنيّة بمثل هذه البحوث، لرأينا دلالة حديث المنزلة على خلافة علي عليه السلام.

حتى يتفقهوا

نشر الإشاعة في المجتمع
دراسة فقهية في ضوء القرآن الكريم

م. د. علي عبد العظيم هادي الخاقاني
وزارة التربية - مديرية تربية النجف الأشرف

نشر الإشاعة في المجتمع

دراسة فقهية في ضوء القرآن الكريم

م. د. علي عبد العظيم هادي الخاقاني
وزارة التربية - مديرية تربية النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩] نحن في زمن الإعلام وتعدد وسائله، وزمن الذكاء الصناعي، حيث الأدوات العلمية ذات الحدين، فالحدّ الإيجابي لا محل له في المقام، أما الحدّ السلبي منها لا بد لنا الحذر منه أشد درجاته؛ إذ سخرها بعض الناس الى تحقيق غايات رخيصة، تُغير كثير من الحقائق، وتجعل الخيال واقعاً، وتُبدل مسير حياة أشخاص، بل أمم، وتُفني عقائد، وتُحارب شرائع، ووسيلة ذلك نشر الإشاعة، وتزييف الحقائق، وخداع الناس بالأخبار الكاذبة.

ونشر الإشاعة عمل مُشين لا يقبل به الشرع والدين، وورد النهي عنه في القرآن الكريم في أماكن عدة، لكن لا بعنوانه الاصطلاحي، وإنما بعنوانات أخرى، كالفتنة أو إشاعة الفاحشة، أو غيرها كما سيتضح لنا في هذه السطور.

الإشاعة في اللغة:

شاع الخبر في الناس يشيع شيعاً وشياعاً ومشاعاً فهو شائع: انتشر وافترق وذاع وظهر، وأشاع ذكر الشيء: أظهره، وهذا خبرٌ شائعٌ في الناس: اتصل بكل أحدٍ فاستوى به علم الناس، ولم يكن علمه عند بعضهم دون بعض[١].

الإشاعة في الاصطلاح:

هي خبرٌ أو أخبارٌ عدةٌ زائفةٌ تنتشر في المجتمع بشكلٍ سريعٍ، ويتداولها الناس ظناً منهم أنها صحيحة.

أو هي: الترويج لخبرٍ مختلق لا أساسَ لهُ من الواقع، أو لخبرٍ تعمد المبالغة والتهويل فيه، أو التشويه في سرد خبرٍ فيه جانبٌ ضئيلٌ من الحقيقة، أو إضافة معلومة كاذبة أو مشوهة لخبر معظمه صحيح، وذلك بهدف التأثير النفسي في الرأي العام المحلي أو الإقليمي أو العالمي؛ تحقيقاً لأهدافٍ سياسيةٍ أو اقتصاديةٍ أو عسكرية على نطاق دولة واحدة أو دول عدة أو على نطاق العالم بأجمعه[٢].

الفرق بين الإشاعة والشائعة:

الإشاعة: تضخيم للأخبار الصغيرة، وإظهارها بصورة تختلف عن صورتها الحقيقية، يعني: هي أخبار موجودة ولكن إظهارها بصورة مختلفة عن حقيقتها بالتهويل والتعظيم جعل منها إشاعة.

الشائعة: أخبار يختلقها البعض لأغراض خبيثة، ويتناقلها الناس بحسن نية دون التثبت من صحتها وصدقها.

الجمع بين التعريفين: كلاهما أخبار كاذبة، القصد من ورائهما تحقيق هدف معين عند انتشارهما بين الناس.

عوامل انتشارهما:

عوامل عدة تساعد على انتشار الإشاعة أو الشائعة، منها: صدورها من مصدر موثوقٍ، أو مشهورٍ بالوثاقة، وتأتي هذه الثقة من ضخامة المصدر وتعدد وسائله، أو من قرب المصدر إلى الحدث المراد انتشاره، ولا فرق بأن يكون المصدر جهة إعلامية، أو سياسية، أو شخصية اجتماعية معروفة.

ومنها: قدرة المصدر على تزييف الظروف المحيطة بالخبر أو الحدث، ونقلها بصورة معاكسة للواقع، وبأدوات فنية، وأقوال بليغة وجميلة.

ومنها: وثاقة السامع المطلقة بالمصدر الذي يبث الخبر، أو القائل للخبر.

ومنها: حسن نية بعض الناس، ونقلها لمن لم يسمعها بداعي النصح والتنبيه.

ومنها: إظهار الناقل نفسه بصورة السبق لمعرفة الخبر، فيبثه في أماكن عدة، وأوقات مختلفة بين الناس.

ومنها: تجنيد جهاتٍ مجتمعيةٍ قريبةٍ من الناس، واستغلال هذا القرب لزيادة الاطمئنان عند الناس بصدق الخبر.

ومها: تعدد وسائل الإعلام، بتعدد ميل كلّ شخصٍ إلى وسيلة معينة يطمئن إليها.

ومن هذه العوامل هي:

١. التكرار: يعني إعادة نشر الإشاعة نفسها بين مدة وأخرى.

٢. العقيدة: يركز على عقائد الإنسان، وثوابت دينه، ويحاول تحقيق أهدافه من خلالها.

٣. الاستعطاف: إذ يوظف مفردات العاطفة للتأثير في نفوس الناس، حتى يصل إلى غاياته.

٤. الشعارات: تستعملها غالباً قيادات الحركات والمنظمات السياسية، ثم يرددها الناس.

٥. الاستطلاع: يتم نشر الإشاعة من خلال أسلوب استطلاع الرأي العام.

٦. الاختلاق: نشر أخبار مفتعلة لتحقيق هدف معين.

٧. الاستنكار: يعني استعمال برامج تثير استنكار الناس، مما يجعلهم يستقبلون الإشاعة وترويجها.

٨. القصص والأساطير: وتنتشر فيه القصص الخرافية وتنتقل جيلاً بعد جيل.

٩. الفن والإعلام: وهو استعمال الأشكال والجمل الجميلة في صياغة هدفٍ معينٍ يستهدف قِيَمًا مجتمعية نبيلة.

١٠. التسويق: وهو إظهار شخصيات معينة، أو لبس معين، بصورة براقة، فيتأثر ببعض الناس، ويتداولونه حتى وإن كان يمس الدين، أو العقيدة، أو الأخلاق.

حكم تداول الإشاعة: ينقسم حكم نشر الإشاعة على قسمين حسب وسيلة نشرها، وهي كما يأتي:

الأول- مصدر الإشاعة: وهذا المصدر هو الذي بثّ الإشاعة، ويرغب في انتشارها، وحكمه في الشريعة متعدد، بتعدد نواياه، وينطبق عليه ما يأتي:

١. إذا قصد من الإشاعة تحقيق الفتنة بين الناس، فحكمه في قوله تعالى: ﴿... يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ لَقَدِ

﴿ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[التوبة: ٤٧-٤٨]. فقد وصفهم الله تعالى بالظالمين، والظالمون مصيرهم نار جهنم؛ لأنّ: ﴿الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١] على حد تعبير القرآن الكريم.

وقد استعمل الاستكبار العالمي هذا الأسلوب في كثيرٍ من البلدان الإسلامية، فتحقق مرادهم في تمزيق المجتمعات الآمنة والمستقرة، ونشروا الفتنة وروجوا للأكاذيب، وكانت وسائلهم الناس أنفسهم في نقل الإشاعة وتأثيرها على مجتمعاتهم، من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون.

٢. نشر الإشاعة يدخل في نطاق الكذب، والكذب محرّم شرعاً، والنصوص الدالة على حرمة الكذب كثيرة، والكاذب ممقوت من الخالق جل علاه، وقوله تعالى واضح في هذا المعنى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[النحل: ١٠٥].

٣. إذا قصد من نشر الخبر الكاذب الحصول على الأموال، فهذه الأموال تعتبر من أموال السحت، وهي حرام شرعاً، وهو اتباعٌ للشيطان، وهو منهيٌّ عنه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾[النور: ٢١].

والنتيجة أنّ كُلَّ من أراد بالناس شرّاً عن طريق نشر الإشاعة فهو في معرض عذاب لا يعلم شدته إلاّ الباري سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النور: ١٩].

الثاني- سامع الإشاعة وناقلها: وهو أيضاً ينقسم حسب نيته في نقل الخبر على قسمين:

١. نقل الخبر بحسن نية، وهذا حكمه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[الحجرات: ٦].

فيجب على السامع التأكد من الخبر قبل نشره للآخرين، حتى لا يتحقق مراد المصدر، فيمس الناس شر الظالمين والحاقدين، ويكون الناقل من النادمين، والإسلام لا يريد المؤمن أنْ يبقى ضعيفاً بليداً يتعامل بطيب القلب مع كل الناس، خيّرهم وفاسقهم، بل لا بد أنْ يتحرَّى عما يسمعه، هل المصدر موثوق؟ هل المصدر له غاية معينة من نشر هذا الحدث أو الخبر؟ هل سيؤدي نقل الخبر وإشاعته لضرر معين على الناس وخاصة المؤمنين منهم؟ كل هذه الأسئلة وغيرها يجب أنّ تكون حاضرةً عند الفرد المؤمن قبل أن يتفوه بشيءٍ سمعه من مصدر مشكوك فيه، و((المؤمن لا يلدغ من جحرٍ مرتين))[٣] فهذا العالم صار كالقرية الصغيرة، لا يخفى أي شيء فيه، والاتعاظ من تجارب الآخرين ممدوح، فـ((السعيد من وعظ بغيره))[٤].

٢. نقل الخبر دون تحقق بقصد الغيبة، وهذا الفعل مرفوضٌ ومنهيٌّ عنه في الشريعة الإسلامية، وظاهرٌ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[الحجرات: ١٢]، وكذلك الأخبار في حرمة الغيبة كثيرة جداً، منها: ((عن أنس قال: قال صلى الله عليه وآله: مررت ليلة أسري بي على قوم يخشون وجوههم بأظافيرهم فقلت يا جبرئيل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم))[٥]، وكذلك مشمولٌ بالآية القرآنية السابقة التي تحكم على من ينقل الخبر الكذب وهو يعلم أنه كذب، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النور: ١٩].

٣. نقل الإشاعة متأثراً، متوهماً بحقيقتها الكاذبة، وهذا مراد مثيري الإشاعة، فينبغي على الفرد المؤمن أن يكون قوي القلب، لا يتأثر بمجرد إشاعة يشيعها المغرضون، ثم ينقلها وينقل تأثيرها إلى الآخرين، إنَّ ضعف القلب غير محبب للإنسان المؤمن، ((إن الله يحب المؤمن القوي))[٦]، ومعظم النقل يكون عن طريق الناس المؤمنين، فهم من ضعف قلوبهم يتأثرون بالإشاعة، فينقلونها كما هي، فيسمع من يثق بهذا المؤمن ويصدّق بقوله، فيعتبره مصدراً موثوقاً منه؛ لذا ينتقل الخبر الكاذب تدريجياً، ولا يعلم الإنسان أنَّه سبب شياع هذه الإشاعة، والقرآن يحذر المؤمنين هذه النتيجة، ويصرّح القرآن بها في الآية السابقة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

بعد عرض مختصر لوسائل نشر الإشاعة وعواملها، وإيضاح الغايات التي من أجلها يروج بعض الناس للأكاذيب التي من شأنها النيل من كرامة المؤمنين، وعقائدهم، ومصائرهم، ينبغي لنا الالتفات الى خطورة المسألة، وعدم التغافل من أن نكون أداة لنشر الإشاعة، وعدم التعامل مع نقل الأخبار تعاملاً بسيطاً وساذجاً، خصوصاً بعد أن بيّنا حكم نشر الإشاعة في القرآن الكريم، ومصير من يكون وسيلة الى النيل من مصائر الناس والأمم الأخرى، والله سبحانه يصف من يفعل ذلك بأنه: (ظالم)، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

١. ظ: ابن منظور، لسان العرب: ١/ ٥٦.
٢. ظ: التهامي، مختار، الرأي العام والحرب النفسية: ١١٤.
٣. الكليني، الكافي: ٢/ ٢٤١.
٤. الصدوق، الخصال: ٦٢١.
٥. المجلسي، بحار الأنوار: ٧٢/ ٢٢٢.
٦. المصدر نفسه: ٦١/ ١٨٤.

بلسانٍ علويٍّ مُبين

■ مَسْكُوكَاتُ أميرِ المؤمنينَ عليٍّ عليه السلام
(سَلُونِي قَبل أن تفقدُونِي) اختيارًا

د. عمَّار حسن عبد الزهرة
المديريَّة العامَّة للتربية في كربلاء

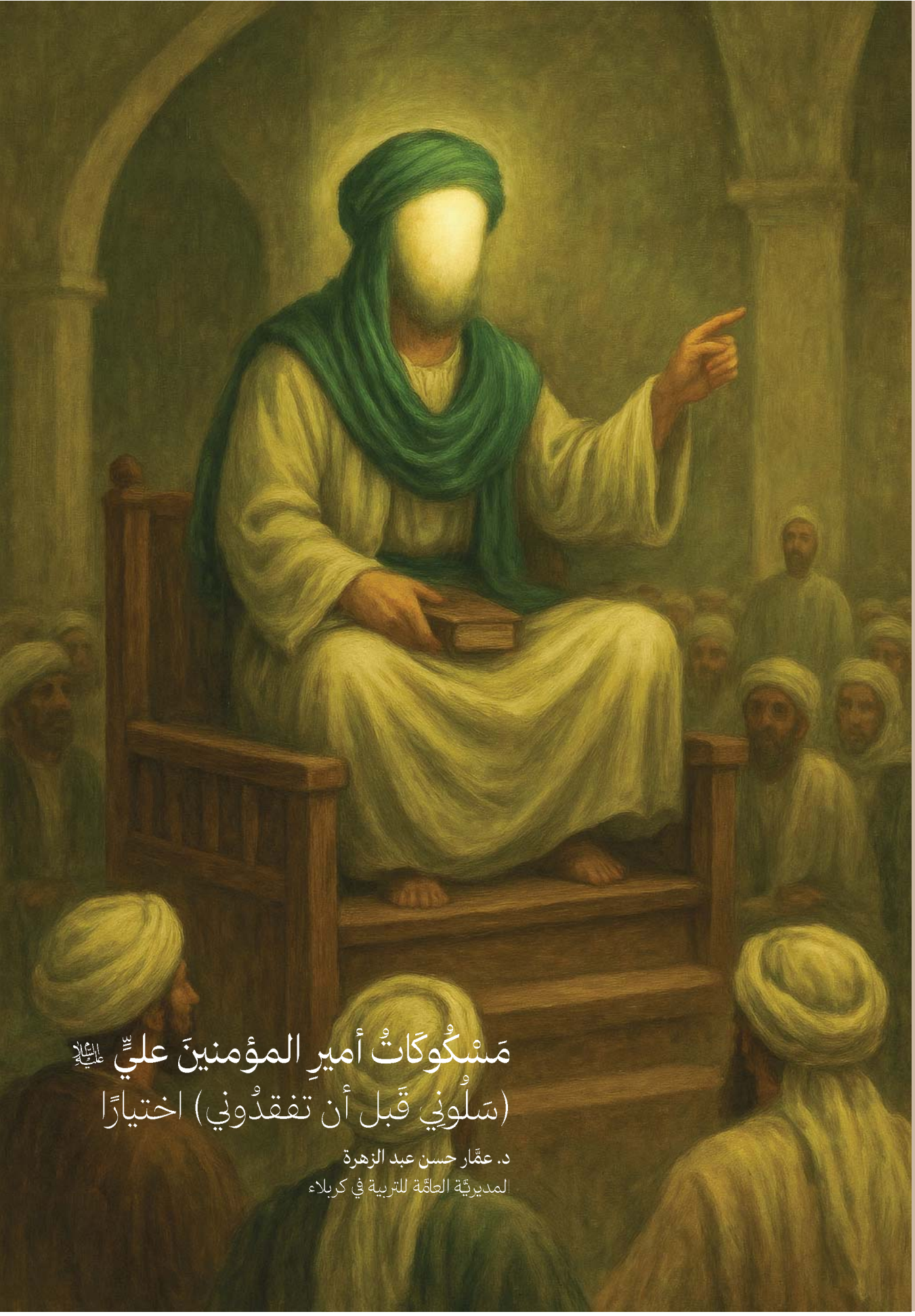

مَسْكُوكَاتُ أميرِ المؤمنينَ عليٍّ عليه السلام (سَلُونِي قَبل أن تفقدُونِي) اختيارًا

د. عمّار حسن عبد الزهرة
المديريّة العامّة للتربية في كربلاء

تزدهر اللغة العربيَّة بكثيرٍ من التعابير المسكوكة على نمطٍ دلاليٍّ مبتكر، يؤدِّيه جميع الوحدات المشاركة في المسكوكة اللغويَّة، فالكلُّ هو الذي ينتج المعنى المبتكر، ولا يمكن أن يفيض به أجزاؤه فيما لو جُرِّدت بعضها عن بعض، ((إذن عبارات تشكَّلت لغايات تداوليَّة، وبناؤها لا يعتمد قوانين التركيب المعروفة في الجمل العاديَّة؛ لأنَّها جامدة على الصورة واحدة))[1]، وغالبًا ما يفرزها مقام تخاطبيّ على نسقٍ معيَّن من الظروف التي تجتمع على دفع المتكلِّم المبتكر لإنتاج عبارةٍ تلخِّص الحادثة برمَّتها، ثمَّ تشيع على الألسنة بوصفها سياقًا لغويًا مبتكرًا مسندًا إلى ذلك المتكلِّم أو للتعبير على مواقف مشابهة لذلك الموقف الذي أنتج المسكوكة اللغويَّة، وقد عُرِّفت بأنَّها: ((مجموعة التَعابير الخاصَّة بلغةٍ معيَّنة، المتمثِّلة في تلك التَّعابير التي تكوَّنت وانصهرت وترسَّبت تدريجيًّا بمرور الزَّمن وبالاستعمال الدَّائم للغة، إنَّها مجموع التراكيب التي تشكِّل وحدة لا تتجزَّأ فلا يمكن استنساخ معناها من الكلمات المركَّبة لها إلَّا فيما ندر))[2].

ولو طالعنا فصحاء العربيَّة فسنجد أمير المؤمنين علي عليه السلام له الصدر في صياغة المسكوكات اللغويَّة، التي لم يجرؤ أحدٌ على مجاراتها أو تقليده في بعضٍ منها، ومن تلك المسكوكات (سلوني قبل أن تفقدوني)، وهذه العبارة على ما فيها من عمقٍ معرفيٍّ لم يجرؤ أحدٌ على تقمُّصها ما خلا أولاده، ومن تجرَّأ عليها فقد أخزاه الله تعالى قبل أن يقوم من مجلسه.

إشاعة ثقافة السؤال:

هذه المسكوكة تحملُ النَّاس على السؤال بوصفه مفتاح المعرفة وبابها، والمحرِّك للتقدُّم العلميِّ والارتقاء المعرفيّ؛ ولكن عندما يكون على وفق الضوابط المهنيَّة والأسس المنطقيَّة بعيدًا عن الأهداف السلبيَّة التي تُخرج السؤال عن ميدانه العلميِّ إلى ميادين حبِّ الاستعراض، أو التعجيز أو التعنُّت أو الترف الفكري أو المغالطة، أو ما شابه ذلك من الأغراض التي لا تستقيم مع الحاجة المعرفيَّة والسلامة الفكريَّة على نحوٍ يكون في ميدان الاستزادة العلميَّة والتوسعة في دائرة الوعي والفهم.

وقد عمل أمير المؤمنين عليه السلام على إشاعة هذا المنهج المعرفيِّ عند تسلّمه حكومة

المسلمين، ونجد ذلك فيما نقله الأصبغ بن نباتة في قوله: ((لَمَّا جلس علي عليه السلام في الخلافة وبايعه الناس، خرج إلى المسجد متعمِّمًا بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله، لابسًا بردة رسول الله صلى الله عليه وآله، متنعلًا نعل رسول الله صلى الله عليه وآله، متقلِّدًا سيف رسول الله صلى الله عليه وآله، فصعد المنبر، فجلس عليه متمكِّنًا، ثمَّ شبك بين أصابعه، فوضعها أسفل بطنه، ثمَّ قال: يا معشر الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا ما زقَّني رسول الله صلى الله عليه وآله زقًا زقًا، سلوني فإنَّ عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثنيت لي وسادة، فجلست عليها، لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتَّى تنطق التوراة فتقول: صدق عليٌّ ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله فيَّ، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتَّى ينطق الإنجيل فيقول: صدق عليٌّ ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتَّى ينطق القرآن فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله فيَّ، وأنتم تتلون القرآن ليلًا ونهارًا، فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه؟))[3]، وعندما انتقل أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة رسَّخ هذه المسكوكة بما تحمل من ثقافة السؤال؛ بوصفه ميدانًا للمعرفة ومسارًا لنموِّها وتطوَّرها؛ إذ نقل الرواة: ((ولما قدم عليٌّ الكوفة قام خطيبًا فقال: بعد حمد الله والثناء عليه والتذكير لنعمه والصَّلاة على محمَّد وذكره بما فضَّله الله به، أمَّا بعد أيُّها الناس، فأنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجترئ عليها أحدٌ غيري، ولو لم أكن فيكم ما قوتل الناكثون، ولا القاسطون، ولا المارقون، ثمَّ قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنِّي عن قليلٍ مقتول، فما يحبس أشقاها أن يخضبها بدم أعلاها))[4]، وكان يخصُّ المجتمع الكوفيّ في بعض الموارد، وذلك بما نُقل عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ قَيْسٍ: ((قَالَ عَلِيٌّ: سَلُونِي يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ قَبْلَ أَنْ لَا تَسْأَلُونِّي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ نَزَلَتْ، وَفِيمَنْ نَزَلَتْ، أَ فِي سَهْلٍ أَمْ فِي جَبَلٍ أَمْ فِي مَسِيرٍ أَمْ فِي مُقَامٍ))[5].

وظلَّ أمير المؤمنين عليه السلام يُردِّد في كلِّ مناسبة مسكوكته: ((سلوني قبل أن لا تسألوني، ولن تسألوا بعدي مثلي))[6]، ويُكرِّر ذلك بقوله: ((أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي - فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ - قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا، وتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا))[7]، وفي حادثةٍ أخرى يقول: ((سلوني قبل أن تفقدوني، فو الذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة، إنِّي لأعلم بالتوراة من أهل التوراة، وإنِّي لأعلم بالإنجيل من أهل الإنجيل، وإنِّي لأعلم بالقرآن من أهل القرآن))[8].

وفي روايةٍ أخرى يؤكِّد أمير المؤمنين عليه السلام مسكوكته فيقول: ((سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله الذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة لو

سألتموني عن آيةٍ آية في ليلٍ أنزلت أو في نهار أنزلت، مكيِّها ومدنيها، سفريها وحضريها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم))[9]، وفي روايةٍ أُخرى يخطب أمير المؤمنين عليه السلام ويقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فقام إليه رجل وهو صعصعة بن صوحان وسأله عن خروج الدَّجال، وأجابه بجوابٍ طويل[10]، وعن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش ((سمع عليًّا يقول: سلوني فو الله لا تسألوني عن فئةٍ خرجت تقاتل مائة أو تهدي مائة إلَّا أنبأتكم بسائقها وقائدها وناعقها ما بينكم وبين قيام الساعة))[11]، وفي روايةٍ أُخرى يطلق أمير المؤمنين عليه السلام مسكوكته فيقول: ((سلوني قبل أن تفقدوني، فعندي علم المنايا والقضايا، والحكمة والوصايا، وفصل الخطاب))[12]، وعن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل قال: ((شهدت عليًّا وهو يخطب، وهو يقول: سلوني فو الله لا تسألوني عن شيءٍ يكون إلى يوم القيامة إلَّا حدَّثتكم به، وسلوني عن كتاب الله، فو الله ما منه آية إلَّا وأنا أعلم أنَّها بليلٍ نزلت أم بنهار، أم بسهل نزلت أم بجبل))[13].

وفي روايةٍ عن سماك عن خالد قال: ((أتيت الرحبة فإذا أنا بنفرٍ جلوس قريبًا من ثلاثين أو أربعين رجلًا فقعدت معهم، فخرج علينا عليٌّ، فما رأيته أنكر أحدًا من القوم غيري فقال: ألا رجل يسألني فينتفع وينتفع جلساؤه))[14]، وعن الإمام الحسين بن علي عليه السلام قال: ((خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام فقال: سلوني عن القرآن أخبركم عن آياته فيمن نزلت؟ وأين نزلت؟))[15]، وفي حادثةٍ أُخرى يرفع أمير المؤمنين عليه السلام من مساحة السؤال العلميّ والمعرفيّ فيقول: ((يا معشر الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين. أما - والله - لو ثني لي الوساد، لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الزبور بزبورهم، وأهل القرآن بقرآنهم، حتى يزهر كلُّ كتابٍ من هذه الكتب ويقول: يا ربِّ إنَّ عليًّا قضى بقضائك))[16].

وروى ((ابْنُ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ مِنْ سِتَّةِ طُرُقٍ، وَابْنُ الْمُفَضَّلِ مِنْ عَشْرِ طُرُقٍ، وَإِبْرَاهِيمُ الثَّقَفِيُّ مِنْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ طَرِيقاً؛ مِنْهُمْ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ وَالْأَصْبَغُ بْنُ نُبَاتَةَ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ وَيَحْيَى ابْنُ أُمِّ الطَّوِيلِ، وَزِرُّ بْنُ حُبَيْشٍ وَعَبَايَةُ بْنُ رِبْعِيٍّ، وَعَبَايَةُ بْنُ رِفَاعَةَ وَأَبُو الطُّفَيْلِ، أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ بِحَضْرَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ: كَيْفَ مُلِئَ عِلْماً لَوْ وَجَدْتُ لَهُ طَالِباً؟ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، هَذَا سَفَطُ الْعِلْمِ، هَذَا لُعَابُ رَسُولِ اللهِ، هَذَا مَا زَقَّنِي بِهِ رَسُولُ اللهِ زَقّاً، فَاسْأَلُونِي فَإِنَّ عِنْدِي عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ))[17]، وفي موضعٍ آخر يقول عليه السلام:

((سلوني قبل أن تفقدوني فإنّكم لا تسألوا عن علم ما كان وما يكون إلّا أخبرتكم به، أخبرني بذلك النبيّ الصادق عن الروح الأمين عن ربّ العالمين))[١٨]، ((وكان يضرب بيده على صدره، ويقول: سلوني قبل أن تفقدوني، إنَّ هاهنا لعلمًا جمًّا لو أجد له حملة، ويضرب بيده على بطنه ويقول: إنَّه لعلم كله، ويقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فلن تجدوا أعلم بما بين اللوحين منِّي))[١٩]، وفي نصوصٍ أُخرى كان يُشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى نواحٍ من جسمه من قبيل الضلوع بوصفها مستودعًا للقلب فيقول: ((سلوني قبل أن تفقدوني، فإنَّ بين ضلوعي علمًا جمًّا))[٢٠]، وفي رواية أخرى يذكر الكتفين فيقول: ((سلوني قبل أن تفقدوني فإنَّ بين كتفي علمًا جمًّا خبَّرني به حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله))[٢١]، وفي رواية أخرى يذكر الجنبين فيقول: ((سلوني قبل أن تفقدوني، فإنَّ بين جنبيّ علمًا جمًّا))[٢٢]، ولأهميَّة هذه المسكوكة كان عليه السلام يكرِّرها في المجلس الواحد فيقول: ((سلوني أيُّها النَّاس قبل أن تفقدوني -ثلاثًا-))[٢٣]

وإلى غير ذلك من المواضع الأخرى التي أكَّد بها أمير المؤمنين عليه السلام على إشاعة ثقافة السؤال إلى أن شكَّلت مسكوكة (سلوني قبل أن تفقدوني) ظاهرة يتداولها النَّاس بعد أمير المؤمنين عليه السلام حتَّى وصلت إلى عصر الإمام الصَّادق عليه السلام، فسأله أحد رجالات الكوفة عنها، وذلك بما نقله زرارة (رضوان الله عليه) بقوله: ((كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال: له رجل من أهل الكوفة يسأله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «سلوني عمَّا شئتم فلا تسألوني عن شيء إلَّا أنبأتكم به»، قال: إنَّه ليس أحدٌ عنده علم شيء إلَّا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام، فليذهب الناس حيث شاؤوا، فوالله ليأتيهم الأمر هيهنا وأشار بيده إلى المدينة))[٢٤]، وفي روايةٍ أُخرى ((وأشار بيده إلى بيته))[٢٥]، وسؤال الرَّجل الكوفيّ عن قول أمير المؤمنين عليه السلام يدلُّ على أنَّ هذه العبارة قد ترسَّخت في المجتمع الكوفيّ وصارت تتداول في أوساطهم، ولذلك سأل الكوفيُّ عنها لما تتضمَّنه هذه الكلمة من ثقلٍ معرفيٍّ لا يتأتَّى لأيِّ شخصٍ إلَّا من كان لديه العلم الرَّبانيّ.

ولذلك فإنَّ ((قول أمير المؤمنين عليه السلام: (سلوني قبل أن تفقدوني فإنَّ بين جنبيّ علمًا جمًّا لو وجدت له حملة) يدلُّ على اشتماله على علوم الدِّين دقيقها وجليلها، وعلى كلِّ ما يجوز أن يسأل عنه سائل، ويسترشد إليه جاهل؛ لأنَّ معنى هذ الخبر لو كان هو الدَّلالة على قوَّة حظِّه من العلم، ووفور نصيبه منه، لكان متعرِّضًا هذا القول المطلق لأن يُسأل عمَّا لا يعلمه وينخجل، وهذا تقرير وركوب خطر، يجلُّ عليه السلام عنه، وهو من هذا الذي تقدَّم من ذوي اللبابة على أن يقول وهو متقدِّم القدم

في المعلومات وليس بمحيطة بها (سلوني قبل أن تفقدوني) يدلُّ على التحذير من فوت النفع بأجوبته مع فقده عليه السلام، وأنَّ مفهوم الكلام يقتضي أنَّه عليه السلام لا سادَّ مساده، ولا قائم في العلم مقامه؛ لأنَّه لو كان يليه من هو في العلم مساوٍ له؛ لكان لا معنى للتحذير))[٢٦].

تفرد أمير المؤمنين عليه السلام بلفظة (سلوني):

قيل في بيان أهميَّة قوله عليه السلام (سلوني): أجمع الناس على أنَّه لم يقل أحد من الصحابة وأهل العلم: سلوني عمّا شئتم غيره عليه السلام، وقال بعضهم: تعرّض للأسئلة عن كلّ ما شاؤوا وأرادوا، ولم يكن يجترئ أحد غيره من سائر الصحابة والتابعين، ولو ادّعى غيره ذلك لكذّبه العيان وفضحه الامتحان[٢٧].

وفي قول أمير المؤمنين عليه السلام المتقدِّم عجائب عدَّة منها: ((أنَّ هذا مقام لا يبلغه ولا ادَّعاه أحد من القرابة والصحابة قبله ولا بعده؛ بل ما تحقَّقنا مثله عن نبيٍّ سابق ولا وصيٍّ لاحق، وأقصى ما عرفناه عن أحدٍ من الأنبياء والأولياء في نحو ما علمه علي بن أبي طالب عليه السلام من الأشياء قول عيسى عليه السلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[آل عمران: ٤٦]، وما وصل إلينا من عيسى عليه السلام مثل عموم قول عليٍّ عليه السلام، وهذه حجَّة على أهل المشارق والمغارب، وهذه منقبة لعلي بن أبي طالب عليه السلام باهرة ومعجزة للرسول صلى الله عليه وآله قاهرة، ومن عجائبه في هذا القول المذكور أنَّه قال ذلك على رؤوس الأشهاد وبمحضر الأعداء والحسَّاد، فكأنَّه تحدَّى به من سمعه ومن سيبلغه من العباد، وجعله حجَّةً لله ولرسوله إلى يوم المعاد))[٢٨].

ولذلك كان سعيد بن المسيب يقول: ((ما كان في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أحد يقول: سلوني غير علي بن أبي طالب))[٢٩]، وينقل أنَّ ((ابْنَ شُبْرُمَةَ يَقُولُ: مَا كَانَ أَحَدٌ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: سَلُونِي عَمَّا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ إِلَّا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ))[٣٠]، ونصُّوا على ((أنَّ أوَّل من قال: سلوني بالكوفة: علي «رضي الله عنه»))[٣١].

وما كان أحدٌ يجرؤ على إطلاق لفظ (سلوني) سوى أبنائه الأئمَّة عليهم السلام، وممَّا ورد عنهم في هذا الصَّدد ما نقله ((وَلَمْ يَجِدْ جَدِّي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام حَمَلَةً لِعِلْمِهِ حَتَّى كَانَ يَتَنَفَّسُ الصُّعَدَاءَ وَيَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي - فَإِنَّ بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنِّي عِلْماً جَمّاً، هَاهْ هَاهْ أَلَا لَا أَجِدُ مَنْ يَحْمِلُهُ؟ أَلَا وَإِنِّي عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ))[٣٢]، وكذلك الإمام الصَّادق عليه السلام بعده، وذلك بما نقله عمرو بن ثابت قال: ((رأيت جعفر بن محمد واقفًا عند الجمرة العظمى وهو يقول: سلوني سلوني))[٣٣]، وفي روايةٍ أخرى عن الصادق عليه السلام كان يقول: ((سلوني قبل أن تفقدوني، فإنَّه لا يُحدِّثكم أحدٌ بعدي بمثل حديثي))[٣٤].

وقد أراد بعض من يدَّعي الرسوخ في العلم أن يقلِّد أمير المؤمنين عليه السلام في دعوى (سلوني)؛ ولكن سرعان ما أخزاه الله تعالى في الحال، ومنهم مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ)، وذلك بما نُقله عنه ابن عبد ربَّه الأندلسي (ت: ٣٢٨ هـ) بقوله: ((وقال مقاتل بن سليمان وقد دخلته أبَّهة العلم: سلوني عمَّا تحت العرش إلى أسفل من الثرى، فقام إليه رجل من القوم فقال: ما نسألك عمَّا تحت العرش ولا أسفل من الثرى، ولكن نسألك عمَّا كان في الأرض وذكره اللهّ في كتابه: أخبرني عن كلب أهل الكهف، ما كان لونه؟ فأفحمه))[٣٥]، ونُقل أيضًا عن قتادة (ت: ١١٧ هـ) قوله: ((ما سمعت شيئًا قط ولا حفظت شيئًا قطّ فنسيته، ثمَّ قال: يا غلام، هات نعلي، فقال: هما في رجليك، ففضحه اللهّ))[٣٦]، ونُقل أيضًا: ((أقام الحجُّ للناس إبراهيم بن هشام المخزومي، وذكر بعضهم أنَّه خطب بمنى من غد يوم النحر فقال: أنا أبو الوحيد، سلوني فإنَّكم لا تسألون أعلم منِّي، فقام إليه رجلٌ من أهل العراق فسأله عن الأضحية واجبة هي؟ فلم يجبه))[٣٧]، وفي حادثةٍ أُخرى يُنقل أنَّ الحسن البصري دخل عليه: ((رجلان فقالا جئناك نسألك عن شيء فقال: سلوني عمَّا بدا لكم، قالوا لك علم بالجنِّ الذين بايعوا رسول اللهّ صلى الله عليه وآله هل بقي منهم أحد، فتبسَّم الحسن، وقال: ما كنت أظنُّ أنَّ أحدًا يسألني عن هذا، ولكن عليكم بأبي رجاء العطاردي))[٣٨].

ومع ما سبق من ترسيخ أمير المؤمنين عليه السلام ثقافة السؤال عبر مسكوكته التي لم يسبقه إليها أحد إلَّا أنَّه لم يكن يجد من يرتقي للسؤال في كثيرٍ من الأحيان كما مرَّ بنا تحسُّره على ذلك؛ بل كان يجد في بعض الأحيان إجاباتٍ تدلُّ على مستوى الانحلال المعرفيّ لدى كثيرٍ من الأشخاص، وممّا جاء في ذلك ((كان أمير المؤمنين عليه السلام يخطب الناس وهو يقول: سلوني قبل أن تفقدوني فوالله ما تسألوني عن شيء مضى ولا شيء يكون إلَّا نبَّأتكم به، قال: فقام إليه سعد بن أبي وقَّاص وقال: يا أمير المؤمنين: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة، فقال له: والله لقد سألتني عن مسألةٍ حدثني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله إنَّك ستسألني عنها، وما في رأسك ولحيتك من شعرةٍ إلَّا وفي أصلها شيطان جالس، وإنَّ في بيتك لسخلًا يقتل الحسين ابني، وعمر يومئذ يدرج بين يدي أبيه))[٣٩]، وقالوا بأنَّ هذا ثابتٌ لأمير المؤمنين عليه السلام[٤٠]، وفي روايةٍ أُخرى تُكمل إجابة أمير المؤمنين عليه السلام: ((وَآيَةُ ذَلِكَ مِصْدَاقُ مَا أَخْبَرْتُكَ بِهِ، وَلَوْلَا أَنَّ الَّذِي سَأَلْتَ يَعْسِرُ بُرْهَانُهُ لَأَخْبَرْتُكَ بِهِ))[٤١]، أي أخبرتك بما سألته من عدد الشعر؛ لأنَّه لو أبلغه أمير المؤمنين عليه السلام بعددٍ معيَّن لأنكر السائل العدد وطلب البرهان.

وفي روايـــةٍ أخـــرى أنَّ الســـائل كان أنس النَّخعيّ، ولا مشـــاحَّة مـــن أنَّ الموضوع قد تكرَّر من أمير المؤمـــنين عليه السلام[٤٢]، وهكذا تعرف محنة أمير المؤمـــنين عليه السلام في المجتمع الـــذي كان يعيش فيه، وبعـــض الأشـــخاص الذين كانـــوا حوله، وفي الحقيقـــة فإنَّ هذه من أكبر محـــن أمير المؤمنين عليه السلام، التي كانت تؤرِّقه وتثير آهاته وحسراته.

وممَّـــا ســـبق تبقى مســـكوكة (ســـلوني قبل أن تفقـــدوني) مـــن خـــواصِّ أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده مـــن بعـــده، وهـــو من فتق اســـتعمالها اللغـــويّ وتداولها بين النَّـــاس، ولكن بقيت هذه المســـكوكة لأهلهـــا؛ لما تحمل من تحـــدٍّ علميٍّ ومعـــرفيٍّ لا يتأتَّى لأيِّ أحـــدٍ إلَّا أن يكون مؤيَّدًا بالتأييـــد الإلهـــيّ، ولذلك فهذه المســـكوكة فيها أبعـــادٌ معرفيَّة فكريَّة واســـعة المضـــامين، ولا يمكن الإحاطة بهـــا في هذا المقـــام الموجز بأكثر ممَّا تـــمَّ عرضه.

١. عبَّاس الصوري، في بيداغوجيَّة اللغة العربيَّة الرصيد المعجميّ الحي: ١١٨ .
٢. مريم إبرير، ترجمة التعابير: ٢٣ .
٣. الشيخ الصدوق، الأمالي: ٤٢٣ ، ظ: الشيخ المفيد، الإرشاد: ١/ ٣٤ ‖ ٣٥.
٤. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٩٣، ظ: إبراهيم الثقفي الكوفي، الغارات: ١/ ٨ .
٥. الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ١/ ٤٥.
٦. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٣/ ٢٨٩ .
٧. الرضي، نهج البلاغة: ٢٨٠ .
٨. الهلالي، كتاب سليم بن قيس الهلالي: ٤٦٢ ، ظ: فرات الكوفي، تفسير فرات الكوفي: ٦٨.
٩. الشيخ الصدوق، التوحيد: ٣٠٥.
١٠. ظ: أبو جعفر الإسكافي، المعيار والموازنة: ٨٣ – ٨٤ .
١١. نعيم بن حماد المروزي، الفتن: ٢٠.
١٢. القاسم بن إبراهيم الرسي، مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي: ٢/ ٢١٣ .
١٣. أبو الوليد الأزرقي أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار: ١/ ٥٠ ، ظ: البلاذري، أنساب الأشراف: ٢/ ٩٩ .
١٤. الصنعاني، المصنف: ٦/ ٢٢٧ .
١٥. الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا ﷺ: ٢/ ٧٣ .
١٦. الشيخ المفيد، الإرشاد: ١/ ٣٥.
١٧. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣١٨ .
١٨. القاضي النعمان المغربي، المجالس والمسايرات: ٢٠٩ .
١٩. القاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار: ١/ ٩١.
٢٠. أبو الفتح الكراجكي، التعجب من أغلاط العامة في مسألة الإمامة: ٦٢ .
٢١. القضاعي، دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: ١٠٤.
٢٢. الشيخ الطوسي، تلخيص الشافي: ٣/ ٢٢ ، الشافعي، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ﷺ: ٨١ .
٢٣. الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة: ٥٥٥.
٢٤. الصفار، بصائر الدرجات: ٣٢ .
٢٥. الشيخ الكليني، الكافي: ١/ ٣٩٩، ٢٤٢ ، الحر العاملي وسائل الشيعة: ١٨/ ٤٠ .
٢٦. الشريف المرتضى، رسائل الشريف المرتضى: ١/ ٣٩٤ .
٢٧. ظ: المازندراني، شرح أصول الكافي: ٦/ ٤٢٧ .
٢٨. ابن طاووس، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٥٠٩ ، المازندراني، شرح أصول الكافي: ٦/ ٤٢٧ .
٢٩. يحيى بن معين، تاريخ ابن معين: ١/ ١٠٦ ، ابن مردويه الأصفهاني، مناقب علي بن أبي طالب ﷺ وما نزل من القرآن في علي ﷺ: ٨٧ ، ابن عبد البر، الاستيعاب: ٣/ ١١٠٣ ، الموفق الخوارزمي، المناقب: ٩١ .
٣٠. ابن الأعرابي، كتاب المعجم: ٩٤٦ .
٣١. الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه: ٣/ ٢٢٨ .
٣٢. الشيخ الصدوق، التوحيد: ٩٣ ، ظ: الشيخ الطبرسي تفسير مجمع البيان: ١٠/ ٤٨٩ .
٣٣. عبد الله بن عدي الجرجاني، الكامل: ٢/ ١٣٢.
٣٤. الإربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٢/ ١٦٣ ، الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٥٧ .
٣٥. ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ٢/ ٨٦ .
٣٦. المصدر نفسه: ٢/ ٨٦ .
٣٧. يزيد بن محمد الأزدي، تاريخ الموصل: ١/ ١٩٣ .
٣٨. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ٢/ ٣٠٤ .
٣٩. ابن قولويه كامل الزيارات: ١٥٦ ، ظ: أبو الصلاح الحلبي، تقريب المعارف: ٣٥٩ .
٤٠. ظ: أبو الصلاح الحلبي، تقريب المعارف: ٣٥٩ .
٤١. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب،: ٢/ ١٠٥ .
٤٢. ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة: ٢/ ٩٦ ، ضامن بن شدقم، تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار ﷺ: ٢/ ٣٤ .

مناهـــج الحيـاة

مـن كلامٍ لأمير المؤمنين علـي بن ابي طالـب عليه السلام في نهج البلاغـــة في أحقيته بالخلافة

قـال عليه السلام في كلام لـه: ((فَوَاللَّهِ مَـا زِلْـتُ مَدْفُوعاً عَـنْ حَقِّي مُسْـتَأْثَراً عَلَـيَّ مُنْذُ قَبَـضَ اللَّهُ نَبِيَّـهُ صلى الله عليه وآله حَتَّى يَـوْمِ النَّـاسِ هَذَا)).

وقـال عليه السلام في التعقيـب على ما حدث في السـقيفة: ((فَنَظَرْتُ فَـإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْـلُ بَـيْتِي فَضَنِنْـتُ بِهِمْ عَنِ الْمَـوْتِ وَأَغْضَيْـتُ عَلَى الْقَذَى وَشَـرِبْتُ عَلَى الشَّـجَا وَصَبَرْتُ عَلَـى أَخْذِ الْكَظَمِ وَعَلَـى أَمَرَّ مِنْ طَعْـمِ الْعَلْقَمِ)).

وقـال عليه السلام: ((إِنَّ الْأَئِمَّـةَ مِـنْ قُرَيْشٍ غُرِسُـوا فِي هَذَا الْبَطْـنِ مِنْ هَاشِـمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِـوَاهُمْ وَلَا تَصْلُـحُ الْوُلَاةُ مِـنْ غَيْرِهِمْ).

وقـال عليه السلام: ((حَتَّى إِذَا قَبَـضَ اللَّهُ رَسُـولَهُ صلى الله عليه وآله رَجَـعَ قَوْمٌ عَلَـى الْأَعْقَـابِ وَغَالَتْهُمُ السُّـبُلُ وَاتَّكَلُوا عَلَـى الْوَلَائِجِ وَوَصَلُـوا غَيْرَ الرَّحِـمِ وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّـذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِـهِ وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِـهِ فَبَنَـوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ مَعَـادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَأَبْـوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ وَذَهَلُوا فِي السَّـكْرَةِ عَلَى سُـنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَـوْنَ مِـنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِـنٍ أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّيـنِ مُبَايِنٍ))

وقـال عليه السلام عندما سـأله بعـض أصحابه: كيـف دفعكـم قومكم عن هـذا المقام وأنتـم أحق بـه؟: ((... فَإِنَّهَا كَانَـتْ أَثَرَةً شَـحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ وَسَـخَتْ عَنْهَا نُفُـوسُ آخَرِينَ وَالْحَكَـمُ اللَّهُ وَالْمَعْوَدُ إِلَيْـهِ الْقِيَامَةُ)).

وقـال عليه السلام في كتاب له إلى أخيه عقيـل: ((فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشـاً وَتَرْكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ وَتَجْوَالَهُمْ فِي الشِّـقَاقِ وَجِمَاحَهُـمْ فِي التِّيهِ فَإِنَّهُـمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَـرْبِي كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَـى حَرْبِ رَسُـولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَبْلِي فَجَزَتْ قُرَيْشـاً عَنِّي الْجَوَازِي فَقَـدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَسَلَبُونِي سُـلْطَانَ ابْنِ أُمِّي)).

الصِّراطُ المُستقيم

الإدارة السياسية في منهج الإمام
أمير المؤمنين (عليه السلام)

د. المهندس. علي ناجي عطية
جامعة الكوفة / كلية الهندسة

الإدارة السياسية
في منهج الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)

د. المهندس. علي ناجي عطية
جامعة الكوفة / كلية الهندسة

إن السياسة التي نهض بها الإمام علي ﷺ لإصلاح الدولة الإسلاميَّة ومواردها الاقتصاديَّة اعتمدت بشكلٍ كاملٍ على التنمية، فقد سنّ لواليه على مصر مالك الأشتر (رضوان الله عليه) قانوناً في هذا المجال حينما كتب له في عهده: ((وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأنّ ذلك لا يدرك إلاّ بالعمارة، ومن طلب الخراج، بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلا))[1]، فالإمام علي ﷺ يرى إنَّ على الدولة ألا تخطط فقط لإنفاق ما تملكه من موارد، بل عليها وضع الخطط الاستثماريّة لتنمية هذه الموارد بما يعود بالنفع على المواطنين وتحقيق الاستقلال الاقتصادي للبلد.

مراعاة السلام والالتزام بالعهود الدولية:

إنّ النبي ﷺ لم يدخل في صلح الحديبية مع قريش والدولة الإسلامية في موقع ضعف - كما يحصل اليوم حين يفرض القوي سلاماً مشروطاً على الضعيف - بل كانت قريش قد تلقت هزائم مريرةً على يد المسلمين وأرادت ثني النبي ﷺ عن دخول مكة لأداء العمرة مع جيشه، ولا يعني دخوله ﷺ في الصلح تخلّيه عن الأهداف التي كان يسعى إليها من نشر الدعوة الإسلاميّة وإنقاذ المظلومين في شتى بقاع الأرض، بل هو اتباعٌ لأساليب أخرى للوصول إلى تلك الأهداف، بل إنّ الوسائل السلميّة عنده ﷺ مقدّمةٌ على غيرها بدليل وصيّته لأمير المؤمنين عليه السلام حين بعثه إلى اليمن: ((يا عليُّ لا تُقاتلنَّ أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام، وأيمُ الله لئن يهدي الله عزَّ وجلَّ على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه شمس وغربت))[٢].

أما سياسة الإمام علي عليه السلام في الدعوة إلى السلام فإننا نراها واضحةً تماماً فيما سنَّهُ لواليه على مصر من قوانين، حيث جاء في عهده إلى مالك الأشتر (رضوان الله عليه): ((ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدّوكَ ولله فيه رضا، فإنَّ في الصلح دعة لجنودك، وراحةً من همومك، وأمناً لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإنَّ العدوَ ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم، وأقم في ذلك حسن الظن))[٣]، هكذا كانت تعامل الدولة الإسلامية أعداءها في عهد الإمام عليٍّ عليه السلام فكيف كانت علاقتها مع الدول الصديقة والتي تشترك معها في المصالح؟

إن الإمام عليه السلام في هذه العبارة يثبت أنَّ السلام المشروط فيه رضا الله تعالى ومصلحة الإسلام هو الحالة الأصلح لتعزيز أركان الدولة وتقويتها بدل دخولها في حروبٍ تحطم اقتصادها وتأكل أبناءها فيقل شأنها بين الأمم.

إنَّ أساس بناء علاقاتٍ سليمةٍ للدولة مع الدول الأخرى هو الالتزام بالعهود والمواثيق الدولية، ولم يغفل أمير المؤمنين عليه السلام عن تلك النقطة المهمة في عهده إلى مالك الأشتر فقد جاء فيه: ((وإنْ عقدتَ بينَك وبين عدوكَ عقدةً أو ألبسته منك ذمةً فحِط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جُنةً دون ما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله شيءٌ الناس أشدّ عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم، وتشتت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود))[٤]، ويعلق على هذه العبارة الباحث توفيق الفكيكي في كتابه (الراعي والرعية) بقوله: «والقانون الدولي يقرر أنْ المعاهدات إنما تُعقد لتُحترم، لأنه إن سُمح للدولة أنْ تتخلص من عهودها متى أرادت لما بقي شيءٌ ثابتٌ في الحياة الدوليّة، فاستخدام القوة في الإخلال بالتزام دوليٍّ لا يفيد المعتدي في التخلص من تعهداته في نظر القانون الدولي».

إنَّ الإمام علياً عليه السلام قرّرَ أنّ الأرضية المشتركة التي يلتقي عندها بنو البشر مهما اختلفت آراؤهم وأهواؤهم هي احترام العهود، ولو التفتت الدول إلى هذا الأمر لعمّ السلام فلا توجد بؤرة للتوتر أو نزاعٌ مسلحٌ في العالم إلاَّ وهناك قرارٌ معطّلٌ للأمم المتحدة.

إنَّ الإمـام عليـاً عليه السلام قـرّرَ أنّ الأرضيـة المشتركـة التي يلتقـي عندهـا بنـو البشـر مهمـا اختلفـت آراؤهـم وأهواؤهـم هـي احترام العهـود، ولـو التفتـت الـدول إلى هـذا الأمـر لعـمّ الـسلام.

حرية العقيدة وحرية العبادة:

لم تختلـف سياسـة أمير المؤمـنين عليه السلام مـع الأقليات الدينيّـة عنـد تسـنّمه كـرسي الخلافـة عـن تلـك التي سـار عليهـا خاتم الأنبيـاء صلى الله عليه وآله، فعندما أقـدم بسر بن أرطـأة – أحد قـادة معاوية – على الهجـوم على الأنبار وقـام بسـلب المرأة المسـلمة والمعاهدة – أي من نسـاء الأديـان الأخـرى – تـألّم الإمـام عليه السلام مـن أجلـهما دون أنْ يفـرّق بين مسـلمةٍ وكتابيـةٍ وقـال: ((ولقـد بلغني أنّ الرجـل منهـم كان يدخـل على المـرأة المسـلمة والأخـرى المعاهدة فينتـزع حجلهـا وقلائدها.... إلى قولـه عليه السلام فلـو أنّ الرجل مـات بعد ذلك أسـفاً لما كان عنـدي ملومـاً بل كان عنـدي جديـراً))[٥].

يذكـر الدكتور حسـن جابر في بحثه عـن الحريات السياسـية في حكـم الإمـام علي عليه السلام: «إنـه عليه السلام قـد نظر إلى هـذه الأقليات من زاويـتين الأولى الزاوية الإنسـانيّة وحريـة كل فـردٍ في أنْ يختـار المعتقـد الذي يـراه مناسـباً مـا دام أنّ اختيـار الدين هو فعـل إرادي لـه مفاعيلـه التربويـة المنبثقـة مـن الداخـل ولا يصح الإكـراه الخارجـي الـذي إن وقـع لا يخـدم كـثيراً في تحريك السـلوك بصـورة تلقائية، ولعلّ الآيـة القرآنية ناظـرةً إلى هـذا البعـد عندما تنفـي الإكراه عـن الدين مطلقـاً، والثانيـة الزاويـة المواطنيّـة فالأقليـات التـي ارتضـت أن تبقـى تحت حماية الدولـة ورعايتها عبَّرت عـن ذلـك ببقائهـا مسـالمةً في دار الإسلام تتطلـب بالمقابـل كل ما يضمـن لها العيش الكريـم الآمن وهو مـا حرص الإمـام عليه السلام على تجسـيده»[٦].

حرية التعبير عن الرأي:

مـن الحريـات التي تفخـر بها الشـعوب المتحضرة هـي حريـة التعـبير وحريـة الإعلام وقـد امتـازت الـفترة اليـسيرة بالمقيـاس الزمنـي التـي حكـم فيهـا أمير المؤمـنين عليه السلام بكثـرة المعـارضين لـه، حتـى كان يـوصي أصحابـه بأن لا يستوحشـوا طريق الحـق لقلّة سـالكيه، وأن لا يعرفـوا الحـق بكثـرة الرجـال حتـى قاتـل الناكـثين والقاسـطين والمارقين، لقـد كانـت سياسـته عليه السلام إطلاق حريـة الـرأي والمعارضـة، ففـي إحـدى المـرات التـي كان يخطـب فيهـا مـن على منبر الكوفـة انبرى لـه رجـلٌ ممـن يكفرونـه وقـال قاصداً إيـاه عليه السلام: «لله أبـوه كافراً مـا أفقهه! فتصـدّت له جماعةٌ

تريد قتله فمنعهم الإمام ناهياً إياهم بقوله عليه السلام: أتركوه فهو إما سبٌّ بسبّ أو عفوٌ عن ذنب».

وقد وصف السيد محمد تقي الحكيم حرية الرأي في خلافته عليه السلام بقوله: ((وكان موقفه من الخوارج - وهم أشدّ معارضيه وأكثرهم إيماناً بمبدئهم - من أروع المواقف وأكثرها تعبيراً عن صيانته لهذا الحق، فقد أباح لهم أنْ يسلكوا مختلف الأساليب للتعبير عن آرائهم، وكانوا يعايشونه في البلد فتكلّموا وخطبوا وتجمهروا وجادلوا وقد تجاوزوا حدود الأدب حين قال قائلهم بأنه لن يأتم بالإمام، ولن يشهد معه صلاة، ولن يأتمر بما يأمر، ولن يكون عليه سلطان، ومع كل ذلك فلم يعرّض الإمام لهم بسوءٍ، بل كان يجادلهم بنفسه تارةً، وبابن عمّه عبد الله بن عباس أخرى، حتى إذا خرجوا من الكوفة بمحض اختيارهم وشكلوا من أنفسهم عصابةً تتعرَّض إلى الآخرين بالقوة لحملهم على اعتناق مبدئهم وكان ما كان منهم من إقلاق للرأي العام وتهديد الأمن والتعدي على الأبرياء أمثال قتلهم لعبد الله بن خباب وبقر بطن زوجته الحامل خرج إليهم الإمام عليه السلام لتأديبهم))[7].

المساواة أمام القانون:

في السنوات التي حكم فيها أمير المؤمنين عليه السلام الدولة الإسلامية كانت هناك شواهد كثيرة على انتهاجه سياسة المساواة بين مواطني الدولة أمام القانون، فقد أعلن عن ذلك عند توليه الخلافة حين قال في إحدى خطبه: ((ألا وأي ما رجلٍ من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرى أن الفضل له على سواه لصحبته فإن الفضل النير غداً عند الله وثوابه وأجره على الله، فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية، ولا فضل فيه لأحد على أحد))[8]، ولتكون سياسته عليه السلام أقوالاً وأفعالاً لا شعارات براقةً فقط، ويبدأ بنفسه قبل غيره وهو أول القوم إسلاما، قال لعمار بن ياسر (رضوان الله عليه): ((يا عمار! قُمْ إلى بيت المال فأعط الناس ثلاثة دنانير لكل إنسان وارفع لي ثلاثة دنانير))[9]، وعندما اعترض عليه أحد الأنصار لمساواته في العطاء بينه وبين عبده الذي أعتقه منذ فترةٍ وجيزةٍ حيث أعطى الإمام لكليهما ثلاثة دنانير فساوى بين العبد ومولاه فاحتج المولى عليه قائلاً: ((يا أمير المؤمنين هذا غلام أعتقته بالأمس تجعلني وإياه سواء؟! فقال عليه السلام: إني نظرت في كتاب الله فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحق فضلاً))[10]، ولم يكتف عليه السلام بذلك بل كان يأمر ولاته على الأمصار بذلك ليعمّ العدل بين الرعية في أرجاء الدولة، وقد كتب لأحدهم: ((أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلكْ، ومن لك فيه هوى من رعيتك فإنك إنْ لا تفعل تظلم))[11].

ولعلّ مثول أمير المؤمنين عليه السلام أمام القضاء - وهو رئيس الدولة - جنباً إلى جنب مع خصم من أهل الكتاب أوضح مصداقٍ للمساواة بين المواطنين أمام القانون مهما اختلفت مناصبهم، فقد روي في كتب التاريخ أن الإمام علياً عليه السلام وجد درعه عند نصرانيٍّ

فأقبل إلى شريح قاضيه وجلس إلى جانبه يخاصم النصرانيّ مخاصمة رجلٍ من رعاياه وقال: ((إن هذه درعي لم أبعْ ولم أهْب؛ فقال شريح للنصراني: ما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصرانيّ: ما الدرع إلاّ درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت شريح إلى علي ﷺ وقال: هل من بينة؟ قال ﷺ: لا، فقضى شريح للنصراني فمشى هنيهة ثم أقبل وقال: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام النبيين، أمير المؤمنين يمشي بي إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه؟! أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين))[12].

حق الحياة وحق الحرية:

يذكر السيد محمد تقي الحكيم في بحثه المقارن بين حقوق الإنسان المنصوص عليها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة ونظرة الدين الإسلامي لهذه الحقوق قائلاً: إن حق الحياة هو حق أن يحيا الإنسان ما دامت فيه قابلية الحياة، ويبين السيد الحكيم: إنَّ هذا الحق قد كفلته الشريعة الإسلامية على أرفع صورة فالإسلام لا يسيغ حتى لصاحب الحق أن يعمد إلى إزالة حياته بيده كما لا يسيغ للمجتمع أو الدولة ذلك إلا في حالات يستثنيها الإسلام كتعدي صاحب الحق على الآخرين بإزهاق حياتهم.

وسعى أمير المؤمنين ﷺ عندما تولى قيادة الأمة الإسلامية إلى حفظ هذا الحق فعندما أتاه الخريت بن راشد ذات يوم وقال له: ((إن خشيت أن يفسد عليك عبد الله بن وهب وزيد بن حصين – وهؤلاء من رؤوس الخوارج - وقد سمعتهما يذكرانك بأشياء لو سمعتهما لم تفارقهما حتى تقتلهما فقال له علي ﷺ: إني مستشيرك فماذا تأمرني؟ فقال الخريت: آمرك أن تدعو بهما فتضرب رقابهما فقال له ﷺ: لقد كان ينبغي أن تعلم إني لا أقتل من لم يقاتلني ولم يظهر لي عداوة وكان ينبغي لو أنني أردت قتلهما أن تقول اتق الله لِم تستحل قتلهما ولم يقتلا أحداً ولم ينابذاك ولم يخرجا عن طاعتك))[13].

ينقل السيد محمد تقي الحكيم عن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عبارة إنَّ جميع البشر مولودون أحراراً، ومتساوون في الكرامة والحقوق وقد وُهبوا العقل والضمير وعليهم أن يعملوا تجاه بعضهم بعضاً بروح الأخوة)) ويعلّق على ذلك بقوله إنَّ من مفاخر الإنسان أن تجد هذا المضمون مؤكداً بلسان إمام المسلمين علي ﷺ في أكثر من موضع من نهجه الخالد عندما يقول: ((ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا))[14] والجعل هنا بمعنى الخلق فهو يقول له الحرية خلقت فيك منذ خلقك الله وهي هبة الله فلا تبددها بالخضوع والعبودية لغيرك.

حق التملك والملكية العامة:

يذكر مؤلف كتاب "فقه العولمة" أنّ الإسلام يقر الملكية الشخصية بشكل نزيه ويحترم أموال الناس كما يحترم أعراضهم ودماءهم ولا يسمح لأحد ولا لجهة بالتصرف فيها إلا عن تراضٍ حاصلٍ بين

الطرفين أو عن طيب نفس من المالك، وذلك لما في تقرير هذه الملكية من منافع يتوقف عليها تقدم المجتمع ورقيه إضافة إلى ما فيه من احترام للإنسان واحترام لما يرتبط به وقد قال النبي الأكرم ﷺ: ((إنَّ الناس مسلّطون على أموالهم))[١٥]، وقال ﷺ أيضاً: ((مال المسلم ودمه حرام))[١٦].

كان أمير المؤمنين ﷺ دقيقاً جداً في التصرف بأموال الدولة - أو كما تسمى الملكية العامة - ولعلَّ حادثة إطفاء السراج التي يرويها التاريخ دليلٌ بيّن على ذلك، فقد رُوي أنه دخل عليه عمرو بن العاص ليلاً وهو في بيت المال فأطفأ السراج وجلس في ضوء القمر ولم يستحل أن يجلس في الضوء من غير استحقاق.

هكذا يكون الإمام ﷺ الأسوة الحسنة في التصرف بالأموال العامة لكل موظفي الدولة لاسيما المسؤولين منهم فهو ﷺ يحتاط حتى في مقدار الزيت اليسير الذي قد ينفقه أثناء حديثه مع ابن العاص والسراج قد خصصته الدولة لإنارة بيت المال.

المتهم بريء حتى تثبت إدانته:

جسّد أمير المؤمنين ﷺ مفهوم المتهم بريء حتى تثبت إدانته بأروع صورة حتى مع معارضيه السياسيين فقد كان ﷺ على علم بأن طلحة والزبير سيعمدان إلى تقويض حكومته عندما طلبا منه الإذن بالذهاب إلى العمرة فقال لهما ﷺ: ((والله ما تريدان العمرة ولكنكما تريدان الغدرة))[١٧].

ونُقل أيضاً عن فترة حكم الإمام ﷺ أنهُ ما كان يبقي أحداً في السجن دون محاكمة فقد كان السجناء يعرضون كل يوم جمعة فمن كان عليه حدٌّ أقامه عليه ومن لم يكن عليه حدٌّ خلّى سبيله، كذلك لم يكن للتعذيب الجسدي بل حتى النفسي وجود في سجون أمير المؤمنين ﷺ، فقد سنَّ ﷺ قاعدة للمحققين لكي يسلكوا المنهج الإنساني في انتزاع الاعترافات بقوله: ((من أقر عن تجريدٍ أو حبسٍ أو تخويف أو تهديد فلا حدَّ عليه))[١٨].

وروي في الحديث أنَّ أمير المؤمنين ﷺ دخل يوماً إلى مسجد الكوفة من الباب القبلي فاستقبله نفرٌ فيهم فتى حدث يبكي والقوم يسكتونه فوقف عليهم أمير المؤمنين ﷺ فقال للفتى: ((ما يبكيك؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن أبي خرج مع هؤلاء في سفر للتجارة فرجعوا ولم يرجع أبي فسألتهم عنه فقالوا مات وسألتهم عن ماله فقالوا لم يخلف مالاً فقدمتهم إلى شريح فلم يقض لي عليهم بشيء غير اليمين وأنا أعلم يا أمير المؤمنين إن أبي كان معه مال كثير، فقال لهم أمير المؤمنين ﷺ: ارجعوا فردهم معه ووقف على شريح فقال: ما يقول هذا الفتى يا شريح؟ فقال شريح: يا أمير المؤمنين إن هذا الفتى ادّعى على هؤلاء القوم دعوى فسألته البينة فلم يحضر أحداً فاستحلفتهم، فقال أمير المؤمنين ﷺ: هيهات يا شريح ليس هكذا يُحكم في هذا، فقال شريح: فكيف أحكم يا أمير المؤمنين فيه؟ قال أمير المؤمنين ﷺ: أنا أحكم فيه ولأحكمّن اليوم فيه بحكم ما حكم به بعد داود النبي ﷺ أحد،

في الفترة التي حكم فيها أمير المؤمنين عليه السلام الدولة الإسلامية كانت هناك شواهد كثيرة على انتهاجه سياسة المساواة بين مواطني الدولة أمام القانون فقد أعلن عن ذلك عند توليه الخلافة.

ثم جلس عليه السلام في مجلس القضاء ودعا بعبيد الله بن رافع وكان كاتبه وأمره أن يحضر صحيفة ودواة ثم أمر بالقوم أن يفرقوا في نواحي المسجد ويجلس كل رجل منهم إلى سارية وأقام مع كل واحد منهم رجلاً وأمر بأن تُغطى رؤوسهم وقال لمن حوله: إذا سمعتموني كبرت فكبروا، ثم دعا برجل منهم فكشف عن وجهه ونظر إليه وتأمله وقال: أتظنون أن لا أعلم ما صنعتم بأبي هذا الفتى إني إذاً لجاهل ثم أقبل عليه فسأله فقال: مات يا أمير المؤمنين فسأله كيف كان مرضه؟ وكم مرض؟ وأين مرض؟ وعن أسبابه في مرضه كلّها وحين احتضر ومن تولى تغميضه؟ ومن غسله؟ وما كفن فيه؟ ومن حمله؟ ومن صلّى عليه؟ ومن دفنه؟ فلما فرغ من السؤال رفع صوته وقال: الحبس الحبس وكبّر وكبّر من كان معه فارتاب القوم ولم يشكوا إنْ صاحبهم قد أقر، ثم دعا برجل آخر فقال له مثل ما قال للأول فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إنما كنت واحداً من القوم ولقد كنت علم الله كارهاً لقتله وأقر بالفعل، ثم دعاهم واحداً واحداً فأقروا أجمعين ما خلا الأول وأقروا بالمال فردّوه وألزمهم ما يجب في القصاص))[١٩].

الضمان الاجتماعي:

للضمان الاجتماعي موقع مهم في التشريع وما الحقوق الشرعية وموارد إنفاقها إلا مثال عملي على ذلك، وإنَّ المشكلة الاقتصادية لهي إحدى المشاكل الكبرى التي يعاني منها الإنسان فمشكلة الحاجة والفقر هي من أخطر آفات المجتمع على الأصعدة كلَّها، وقد قرر الإمام عليه السلام ذلك في عهده إلى مالك الأشتر بقوله: ((وإنما يُؤتى خراب الأرض بإعواز أهلها))[٢٠]، إذ نرى الإمام عليه السلام يثبت تلك المبادئ في وثيقته الدستورية وعهده إلى الأشتر لتكون مسؤولية قانونية من مسؤوليات الدولة وليست براً ومعروفاً يتبرع بها المحسنون، وقد سجل هذا المبدأ الدستوري الخطير بقوله عليه السلام: ((ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى - أي شدة الفقر - والزمنى - أي العاهات - فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد فإنَّ للأقصى منهم مثل الذي للأدنى))[٢١].

يقول الشيخ محمد تقي التستري في كتابه بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة عندما يمر بهذه العبارة إنَّ صوافي الإسلام هي الأراضي التي يفتحها المسلمون بلا خيل ولا ركاب وقد كانت صافية للنبي ﷺ ثم بعد وفاته صارت لفقراء المسلمين ولما يراه الإمام من مصالح الإسلام، على الدولة بموجب عهد الإمام عليه السلام أن تخصص ميزانية مالية خاصة لهذه الطبقة وتمويلها يكون من بيت المال – أي من موارد البلد الرئيسة – ومن غلّات الأراضي المذكورة.

يمكن أن يستفاد من هذا التوضيح أمرين: الأول هو إنَّ حقَّ الضمان الاجتماعي مكفولٌ للجميع ولا يطبّق بتمييز بين مكونات المجتمع سواء أختلفت تلك المكونات مذهبياً أو عرقياً أو جغرافياً والثاني إنَّ تمويل برامج الدعم لهذه المشاريع الإنسانية يكون مصدره موارد البلد الرئيسية، وقد جسَّد أمير المؤمنين عليه السلام توجيهه إلى مالك الأشتر عندما رأى شيخاً أعمى كبيراً في السن يستجدي ويسأل الناس فقال الإمام عليه السلام: ((ما هذا؟ – لاحظ إنَّ الإمام استنكر الظاهرة من أصلها لتطبيقه الضمان الاجتماعي بصورة كاملة وانتفاء الفقر في حكومته عليه السلام – فقالوا: يا أمير المؤمنين نصراني فقال عليه السلام: استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه؟ أنفقوا عليه من بيت المال))[٢٢].

١. نهج البلاغة: ٣/ ٩٦
٢. محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ٤/ ٣٤٤٣.
٣. ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٧/ ١٠٦.
٤. المصدر نفسه.
٥. الكليني، الكافي: ٥/ ٥.
٦. حسن جابر، الحريات السياسية عند الإمام علي عليه السلام، مجلة النهج، العدد الأول.
٧. السيد محمد تقي الحكيم، الإمام علي بن أبي طالب بين حقوق الإنسان وواجباته، موقع مكتبة الروضة الحيدرية على شبكة الإنترنت.
٨. محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ٤/ ٢٩٩٦.
٩. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٩٦.
١٠. الكليني، الكافي: ٨/ ٦٩.
١١. محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ٤/ ٣٦٩٠.
١٢. العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ٣٤/ ٣١٦.
١٣. محمد الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ: ٤/ ٢٧٧.
١٤. محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ١/ ٥٨٢.
١٥. السيد الخوئي، مصباح الفقاهة: ٢/ ١١٩.
١٦. ابن ابي جمهور الاحسائي، عوالي اللئالي: ٣/ ٤٧٣.
١٧. الشيخ المفيد، الجمل: ١, ٨٩
١٨. الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٢٣/ ١٨٥.
١٩. الكليني، الكافي: ٧/ ٣٧١-٣٧٢.
٢٠. نهج البلاغة: ٣/ ٩٧.
٢١. ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٧/ ٨٥.
٢٢. الشيخ الطوسي، تهذيب الاحكام: ٦/ ٢٩٣.

تصدَّق أمير المؤمنين عليه السلام بخاتمه

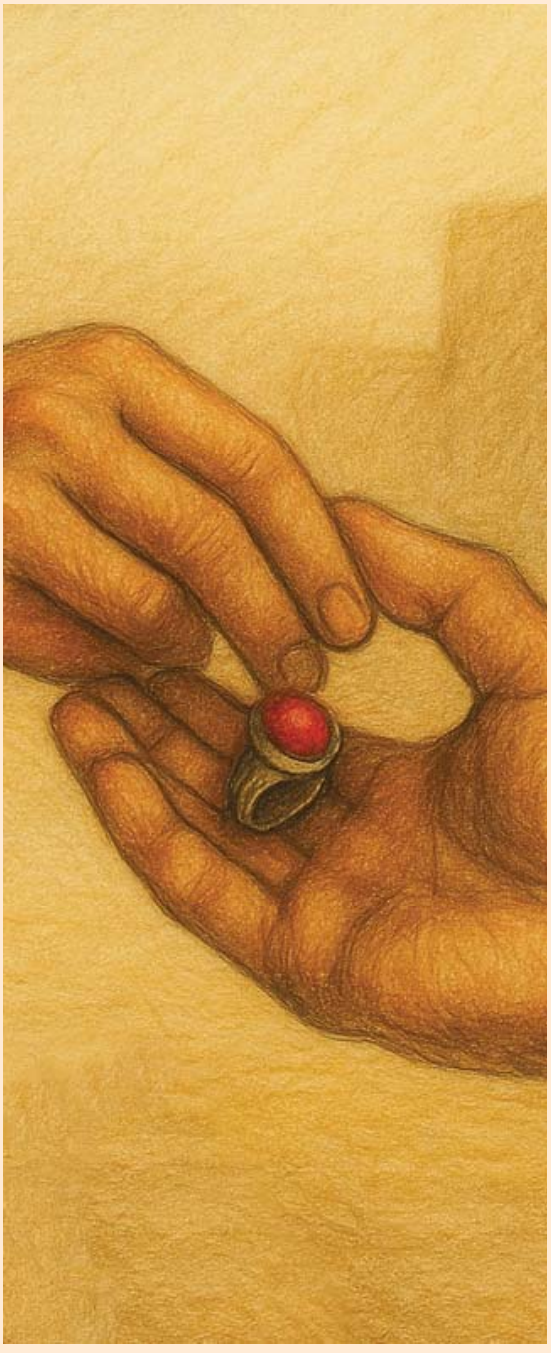

أمير المؤمنين ومولى الموحدين وكهف المستضعفين، وأبو اليتامى والمساكين، وهب وأعطى كل ما يملك للسائل والمحروم، بل وصل به الكرم إلى درجة أنه وهب خاتمه أثناء صلاته عليه السلام للسائل الفقير عندما دخل الى المسجد يطلب العطاء من أهل العطاء.

روي عن أبي ذر الغفاري (رض) قال: ((أما إنيّ صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً من الأيام الظهر فسأل سائلٌ في المسجد فلم يعطِهِ أحدٌ شيئاً فرفع السائل يديه إلى السماء وقال: اللّهم اشهد أنّي سألتُ في مسجد نبيِّك محمد صلى الله عليه وآله فلم يعطني أحد شيئا، وكان عليٌّ عليه السلام في الصلاة راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى وفيه خاتمٌ فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بمرأى من النبي صلى الله عليه وآله وهو في المسجد، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله طرفه إلى السماء وقال:

اللهم إنَّ أخي موسى سألك فقال: ربِّ اشرحْ لي صدري، ويَسّر لي أمري، واحللْ عقدةً من لساني يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي، اشدد به أرزي، وأشركه في أمري، فأنزلت عليه قرآنا: سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما.

اللَّهم وإنّي محمدٌ نبيك وصفيك اللهم واشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيرا من أهلي علياً أشدد به ظهري.

قال أبو ذر رضي الله عنه: فما استتمّ دعاءه حتى نزل جبرئيل عليه السلام من عند الله عز وجل وقال: يا محمد؟ اقرأ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[المائدة: ٥٥]))[1].

لسانُ الأُمة

الصورة الحركية في كلام أمير المؤمنين عليه السلام
المغزى والتشكيل

احمد الذهب
جامعة الجزيرة - دبي

الصورة الحركية في كلام أمير المؤمنين عليه السلام
المغزى والتشكيل

احمد الذهب
جامعة الجزيرة - دبي

تعـدّ فصاحة الكلمـة، وبلاغة العبارة أهم أسـس حضـارة العرب الخالـدة ودعائمها القويـة التي نقلت مقومـات فكرهـا وإبداعهـا - زمانًـا - عبر الأجيال، و- مكانًـا - نحـو شـعوب الأرض المترامية، وأممهـا المختلفة.

فقـد اكتملـت بنيـة اللغـة العربيـة الجماليـة والتشـكيلية في قـرون مديـدة مـن الزمـان لتكون على موعدهـا التاريخي والحضـاري والفكري لاسـتيعاب الرسـالة السماويـة العظمى، وتحمّل مسـؤولية الإيمان بهـا وتصديقهـا، وقراءتهـا قـراءة اعتقـاد وتصديـق واعتـزاز، ومـن ثـمّ الاضـطلاع للقيـام بالتبليـغ بهـا ونشرهـا، في مشـارق الأرض ومغاربهـا.

وقـد شـكلت اللغـة العربيـة بما تمتلـك مـن طاقة وفعاليـة بأدائهـا وأسـاليبها دعامة أساسـية في رسـالة الإسلام، المتجسـدة في كتـاب الله المـبين، فحملتـه نـورًا ودسـتورًا وتفصيـلًا وتشريعًـا، وأدى الرسـول الأعظـم (صلـوات الله عليـه وآلـه) وهـو سـيد مَـن نطـق بالعربيـة الأمانـة فأتـمّ التبليـغ بآياتـه المبينـة وأكمـل الديـن لأمـة المسـلمين، ثـمّ قـام مـن بعـده ذروة البلاغـة وسـنام الفصاحـة المنبثقـة عـن بحـار علـم رسـول الله ﷺ أمير المؤمـنين علي بـن أبي طالب عليه السلام ليشـقّ عبـاب اللغـة ويبقـر علومهـا وهـو يرسـم للمسـلمين صـور الدنيا والآخـرة، والحـق والباطل، والثـواب والعقـاب، في متـون من اللغة وتشـكيلات مـن القـول يعجـز عن مثلهـا إبـداع المبـدعين، فاللغة بين يـدي أمير المؤمـنين الفضـاء الرحـب والمحيـط الواسـع الـذي آثـر أن يكـون أحـد أسـلحته في نشر رسـالة الحـقّ والعـدل والإصلاح في حياتـه كلهـا.

ولم يكـن عليه السلام ممن يبحثون وراء اللغة، ويسـعون إلى دقائقهـا ليُقـال: أحسـن القـولَ وأجـادَ الحديـث، بل كانـت اللغـة بين يديه جيـادًا ذلولة تنطلق على لسـانه وتنبـئ عـن فكـره مشـكلة صـورًا معبّرة عما أراد من معـانٍ عظيمة، وأفـكار عميقـة تترجم آيـات الكتاب بوعدهـا ووعيدهـا، وبشيرهـا ونذيرهـا، وتـروي ما استنّه نبيّـه الكريـم ﷺ من شرائـع القـول والعمل، فكانـت الصـورة في كلام أمير المؤمـنين فِكـرًا ثاقبًا في لمحـات نابضـة بالحيـاة والـروح بلغت مـن الفصاحة أقصاهـا، ومـن البلاغـة مداها.

ولنسـتجلي بعـض تلك الصـور تمثلًا لا اسـتقصاءً مما قالـه أمير المؤمـنين في خطبته لمّا بويـع بالمدينة وهي الخطبة السادسـة عشرة في كتاب النهج، فقد ارتسمت فيهـا حركيـة متنامية تزوّد الصـور بمقومـات التعبير الفكريـة والنفسـية، ولتتفاعـل في ذهن المتلقـي فتبلغ معـه أقصى درجـات التـأثير مـن خلال سـمة الحركية والحيوية والاسـتمرار.

وإذا كانـت الصـورة اللغويـة لوحـة ترسـمها الـكلمات تشـتمل على تفاصيـل الصـورة الحقيقيـة الدقيقـة مـن أشـكال وألـوان وتضاريـس تتجمـع لتشـكل انعكاسًـا جماليًـا للواقـع يحملهـا التهانوي في تعريفـه فيقـول: ((الصـورة آلـة ومـرآة))[1]، فإنها في النصـوص الإبداعيـة تعكـس واقعًـا أوضـح مما هو عليـه وأشـدّ وقعًـا في ذهنـه المتأمـل.

مفهوم الصورة الحركية

الصورة الحركية نوع من أنواع التصوير البياني يعتمد على إضفاء الحركة على المشهد الموصوف، بحيث يتحول النص إلى لوحة متحركة أمام السامع أو القارئ، ففي الصورة الساكنة يتم وصف الصفات بشكل جامد، أما في الصورة الحركية فتندمج الأوصاف مع الأفعال لتحاكي الحركة المستمرة، وقداعتُبرت الصورة الحركية أرفع أنواع التصوير؛ لأنها تُضفي على النص طاقة وحيوية، وتجعل الأفكار المجردة ملموسة محسوسة؛ ولذلك فإن تأثيرها في النفس البشرية أعمق وأدوم؛ إذ إن العقل الإنساني أكثر استجابةً للصور الحية المتحركة منه للصور الجامدة.

وقد جاءت الصور اللغوية في كلام أمير المؤمنين حاملة في بنيتها انفعالات حيوية ومشاهد نابضة من خلال إعطائها سمة الحركة والتفاعل داخل النص. فعناصر الكون بتفاصيلها المختلفة من جبال وأشجار وكواكب وجمادات في حركة دائبة، وليست ساكنة صامته كما تبدو، ﴿**وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ**﴾[النمل: ٨٨]، فالحركة أحد أهم عناصر فعالية الصورة وتأثيرها إضافة لعناصرها المؤثرة الأخرى كالأصوات والألوان وغيرها؛ ولذا يتفق الأدباء على أنّ (مَن يرد من الشعراء أن يأتي بصورة جميلة فلا بد له أن يتجنب السكون، بعبارة أخرى إن الصورة جميلة خالدة بقدر ما تتمتع بالحركة وتفقد الروعة والجمال بقدر فقدها لها)، وقد صرّح الجرجاني قديمًا ((بأنّ ما يزداد به التشبيه دقة وسحرًا أن يتمثل في الهيئات التي تقع عليها الحركات))[٢].

يقول أمير المؤمنين ﷺ في كلامه يوم بويع: ((إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمُثُلَاتِ، حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ، إِنّ بليتكم عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا وَلَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا))[٣].

تتشكّل هذه الصور مشحونة بطاقات حركية متوالية لا نكاد نتمّ استحضار مشهد منها حتّى يتبعه مشهد ثانٍ، فثالث، حتّى ليغوص السامع والقارئ في تفاصيل دقيقة تبدأ به ولا تنتهي، فبدءًا بما تكشّف للإنسان خلال النظر في أحوال من سبقه ممن جحد فنالته العقوبات، فلا بدّ أن تحجزه التقوى حجزًا عن الوقوع في الشبهات، لكنّ الوقوع في الشبهات يأتي بمشهد مخيف رادع من خلال حركيّة «تقحّم» ودلالتها على إلقاء النفس في التهلكة، ولتتواثب بعد ذلك الصور ناطقة بما أصاب الناس في زمانه ﷺ فقد عادت البلية كما كانت يوم بعث الله النبيّ ليخرج القوم من الظلمات إلى النور فصاروا إلى ما كانوا عليه من قبل، فينبئهم بما سيجري عليهم إن هم اختاروا ذلك السبيل، ولتتشكّل عناصر الصورة المستقبلية المخيفة (لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً وَلَتُسَاطُنَّ

سَـوْطَ الْقِـدْرِ)، فتـأتي المشـاهد مدوّيّـة بحركتها حتّى لكأننـا نسـمع أصـوات الخلـط والغربلـة وتدويـر الطعـام في القـدور باسـتمرار، تجاهـر بهـا الأفعـال المضارعـة المتحركـة المتقلبـة التـي تعـدّ أهـمّ آليـات الصـورة الحركيـة، منذرة بمـصير مرعـب، ولتكتمل الدوائـر بهـؤلاء الجاحديـن أخيرًا بانـقلاب لا يعلمـه إلا الله (حَتَّـى يَعُـودَ أَسْـفَلُكُمْ أَعْلَاكُـمْ وَأَعْلَاكُـمْ أَسْـفَلَكُمْ) في حركة تسـتغل درجـة الفعالية القصوى لأدوات التضـاد والتقابـل في رسـم المشـهد الحركـيّ المفـزع (وَلَيَسْـبِقَنَّ سَـابِقُونَ كَانُـوا قَصَّرُوا وَلَيُـقَصِّرَنَّ سَـبَّاقُونَ كَانُـوا سَـبَقُوا).

ويتعمّـق خطاب أمير المؤمنين في تشـكيل الصورة التاليـة مـن خلال التوظيـف الجمالي الممتـزج بين آليـة التمثيـل البصريـة، وآلـة المقابلـة السـمعية، ليتشـكّل بعـد ذلـك بنـاء حركـي متعاكـس بين مـن ألقتهـم الخطايـا في نـار جهنـم، ومـن أوردتهـم التقـوى إلى الجنـة، (أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَـا خَيْـلٌ شُـمُسٌ حُمِـلَ عَلَيْهَـا أَهْلُهَـا وَخُلِعَـتْ لُجُمُهَـا فَتَقَحَّمَـتْ بِهِـمْ فِي النَّـارِ. أَلَا وَإِنَّ التَّقْـوَى مَطَايَـا ذُلُـلٌ حُمِـلَ عَلَيْهَـا أَهْلُهَا وَأُعْطُـوا أَزِمَّتَهَـا فَأَوْرَدَتْهُـمُ الْجَنَّـةَ).

إنّ حركـة الإنسـان واحـدة كما يظهرهـا الخطاب، فهـو هنا محمول وهنـاك محمول، لكـن الصورة الأولى تعكـس الخيل الجامحـة العنيفة التي فقـد راكبها لجامها وتقحمّـت بـه بئـس المصير بحركـة عنيفة شـديدة، لا رفـق فيهـا ولا هـوادة. وهنـاك المطايـا المنقـادة التـي أسـلمت زمامهـا لراكبهـا، وسـقته ممـا أنعـم عليـه ربـه، فقد اسـتنطق الخطـاب الفعل «أوردتـه» ليروى صاحبهـا بجزائـه الحسـن، ولتشـحذ آليـة التضـاد الصـورة بطاقـة خلّاقـة مـعبّرة (فـإن الأشـياء تـزداد بيانـا بالاضـداد)[٤].

يقـول الشريـف الـرضي (رض) معلقًـا على هـذا الـكلام لأمير المؤمنين عليه السلام: (إنَّ في هـذا الكلام الأدنى مـن مواقع الإحسـان ما لا تبلغه مواقع الاستحسـان، وإنَّ حـظ العجـب منـه أكثـر مـن حـظ العجـب بـه وفيـه مـع الحال التـي وصفنـا زوائد مـن الفصاحة لا يقـوم بها لسـان ولا يطلـع فجها إنسـان ولا يعرف ما أقـول إلا مـن ضرب في هـذه الصناعـة بحـق وجرى فيهـا على عـرق وَمـا يَعْقِلُهـا إِلَّا الْعالِمُون)[٥].

أمّـا الآليـة الثالثـة مـن آليـات الصـورة الحركيـة بعـد طاقة الفعـل وتعبيريـة التضاد فتـأتي عبر الجرس الصـوتي والتناسـق الجـملي، الذي يحدث أزيـزًا يحمل في نبرتـه الاضطـراب والتقلّب والخوف من المسـتقبل حين يقسّـم الإمـام النـاس إلى ثلاثة أقسـام؛ السـاعي إلى مـا عنـد الله السريـع في سـعيه، والطالـب البطـيء في طلـب مـا يرجـوه، والمقصّر الـذي سـاق نفسـه إلى النـار (سَـاعٍ سَرِيـعٌ نَجَـا، وَطَالِـبٌ بَطِـيءٌ رَجَـا، وَمُـقَصِّرٌ فِي النَّـارِ هَـوَى). فترتسـم الحـركات المتباينة لتـعبّر كل حركـة عـن عمـل صاحبهـا ووصولـه إلى عاقبـة أفعالـه، مـن خلال البنـاء الصـوتي المتـدرّج بين السرعـة في صفـة المتعجّـل إلى رحمـة ربـه «سـاعٍ» بمقطـعين صوتـيين «سـا» و «عٍ»، ومتوسّـط الحركـة بـثلاث مقاطـع «طـا» «لـ» «بٍ»، أمـا الأخير فقـد عكسـت بنيتـه الصوتيـة المشـدَّدة حركتـه المتهاونـة المتخاذلـة «مُ» «قَصْ» «صـ» «رٍ».

ويعـود خطـاب أمير المؤمـنين في آخـر كلامـه

ليدعو الناس إلى التقوى، فهي النجاة، وهي السبيل الضامنة فوز صاحبها، في بناء حركي ينسجه الفعل المضارع الموحي بدوامه في كل زمان، لا زمان معيّن، كما يشير الدكتور مهدي المخزومي[٦]: (لا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْخُ أَصْلٍ. وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ)، فلا اندثار لأصل قام على التقوى، ولا جفاف لزرع أنبتته التقوى، بل زرعها دائم الخضرة وارف الظلال طيب الثمر.

إن تشكّل الصورة الحركية في أقوال أمير المؤمنين وخطبه، أكسبها مزايا بلاغية يندر وجودها في النصوص الأدبية في اللغة العربية، فهي تُحرّك المشاعر وترسّخ المعاني، فالمعنى المصوّر بحركة يرسخ في الذهن، ويؤثر في النفس، ويحقق غايته كما أريد لها.

١- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١١٤٤.
٢- أسرار البلاغة: ١٦٤.
٣- نهج البلاغة: ٦٨
٤- المصدر نفسه: ٧٠.
٥- أسرار البلاغة: ٣٨.
٦- في النحو العربي نقد وتوجيه: ١٢٤.

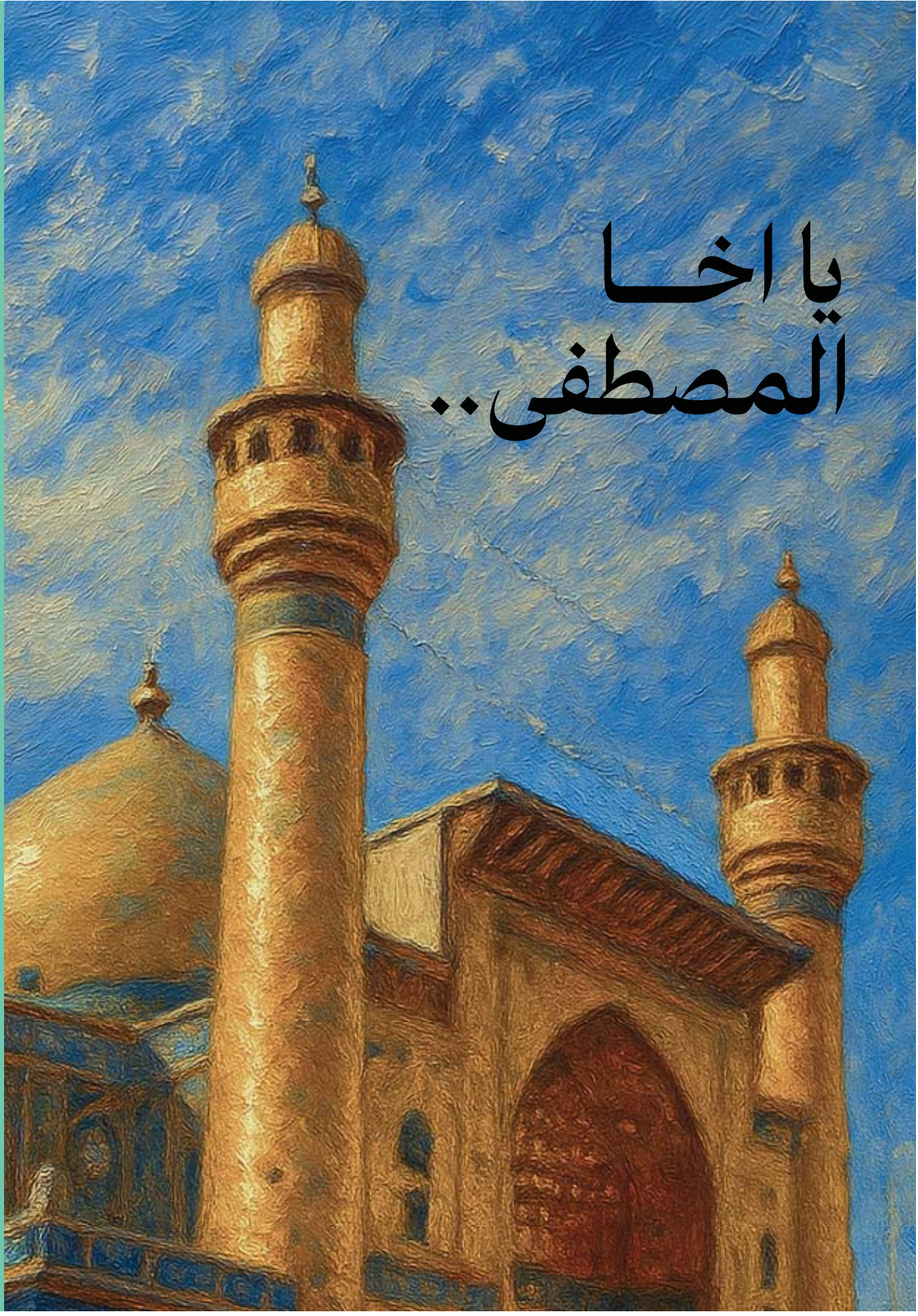
يا اخا
المصطفى..

الشيخ صالح الحلي
(١٢١٨ ـ ١٢٦١هـ)

غايةُ المدحِ في عُلاكَ ابتداءُ ... ليتَ شعري ما تصنعُ الشعراءُ؟
يا أخا المصطفى وخيرَ ابنِ عمٍّ ... وأميراً إنْ عُدَّتِ الأمراءُ
ما نرى ما استطالَ إلا تناهى ... ومعاليكَ ما لهنَّ انتهاءُ
فَلَكٌ دائرٌ إذا غابَ جزءٌ ... من نواحيهِ أشرقتْ أجزاءُ
أو كبدرٍ ما يعتريهِ خفاءٌ ... من غمامٍ إلا عراهُ انجلاءُ
يحذرُ البحرُ حوله الجزرَ لكنْ ... غارةَ المدِّ غارةٌ شعواءُ
ربَّما عالجٌ من الرملِ يُحصى ... لمْ يضقْ في رمالِهِ الإحصاءُ
يا صراطاً إلى الهدى مستقيماً ... وبه جاءَ للصدورِ الشفاءُ
بُنيَ الدينُ فاستقامُ ولولا ... ضربُ ماضيكَ ما استقامَ البناءُ
أنتَ للحقِّ سلّمٌ ما لراقٍ ... يتأتّى بغيرهِ الارتقاءُ
أنت هارون والكليم محلا ... من نبيٍ سمتْ به الأنبياءُ
معدنُ الناسِ كلّها الأرضُ لكن ... أنتَ مِن جوهرٍ وهمْ حصباءُ
شبه الشكلِ ليسَ يقضي التساوي ... إنَّما في الحقائقِ الاستواءُ
شرَّفَ اللهُ فيكَ صُلباً فصُلباً ... أزكياءٌ نمتهمُّ أزكياءُ
فكأنَّ الأصلابَ كانتْ بروجاً ... ومِنَ الشمسِ عمَّهنَّ البهاءُ
لم تلدْ هاشميةٌ هاشمياً ... كعليٍّ وكلّهمْ نُجباءُ
وضعتهُ ببطنِ أوَّلِ بيتٍ ... ذاكَ بيتٌ بفخرِهِ الاكتفاءُ

قُـــــرةُ الأَعيُن

- الأخلاق التربوية طريق السعادة في كتـاب (منهج الحياة التربوي)

الباحث: محمد خالد المحمدي /بغداد

- حجاب المرأة المسلمة شبهـــات وردود

الباحثة سجى صلاح مهدي
مديرية التربية/ القادسية

الأخلاق التربوية طريق السعادة في كتاب (منهج الحياة التربوي)

الباحث: محمد خالد المحمدي/بغداد

الاخلاق عنوان واسع ويمكن أنْ نقول عنهُ أنهُ فضفاض، يُلامس ويدْخل في كل موارد الحياة، لا يختص بجانب دون الآخر، إذ تُعدُّ الأخلاق أداة كاشفة لذات الإنسان، وهي من ضمن أدوات المتوسمين وأصحاب الفراسة، إذ إنّ الأخلاق المذمومة أو المحمودة تحاكي الواقع الخارجي ومن خلال ذلك الواقع تستطيع أن تُميز المقابل بسهولة هل من أهل الباطل أو من أهل الحق، وغيرها من موارد الفهم للشخصية الأخلاقية الأخرى، كما أنّ هذا المعنى لا يقتصر على الفرد بل يتسع نحو المجتمع والمجتمعات والأنظمة والمدارس بجميع أشكالها العلمية والفكرية، وعلى ذلك السرد نجد إنَّ عنوان الأخلاق حاضر في كل زمان ودين وحضارة وفكر، فالدين مجموعة تعاليم تهدف لتنظيم الشأن العام للإنسان والحيوان والمحيط الذي يحتويهم ضمن تداخلات خاصة تخص العبودية لله سبحانه وعامة تختص بجانب التعامل الخارجي مع الجمادات والكائنات الحية مع التوسع في مفهوم الملكية الخاصة والعامة، وهذا بحث يدرس في علم الاقتصاد يدخل في تنظيم الحياة، وكل ذلك يرجع بالأساس إلى الأخلاق كونها تعاليم تُنظم شؤون الحياة، وعلى هذا المنوال نجد أنّ السعادة ترتبط مع التربية الأخلاقية بصفة التلازم، وأكيد أنّ الأخلاق والسعادة لهما علاقة طردية وكذلك علاقة متغيرة حسب المستوى الحاصل في منسوب الأخلاق كونها تمثل العامل الأول فإذا زادت الأخلاق الحسنة لدى الفرد او المجتمع زادت السعادة مما ينعكس ذلك على الواقع العام والعكس صحيح.

وعلى ضوء هذه المقدمة التي استندنا فيها على سؤال وضعهُ صاحب كتاب منهج الحياة التربوي الاستاذ مهند السهلاني[1] حول علاقة الأخلاق بالسعادة، والذي بدوره جعل الفصل الأول منه بعنوان التربية الأخلاقية موضحاً فيه حقيقة الأخلاق والحاجة منهُ وأهدافهُ وأقسامه، والعلاقات المرتبطة مع هذا العلم وتأثيره على الفرد والمجتمع والنتائج المرجوة من الأخلاق، جاعلاً وصف الأخلاق الحسنة حاجة ضرورية ملحة وأساس نظام الحياة الاجتماعية.

وحسب القراءة الموضوعية لكتاب (منهج الحياة التربوي) نود تقديم بيان الفهم العام لمضامين الكتاب وبالأخص علاقة الأخلاق بالسعادة والترابط الحاصل بينها وبين التربية، ضمن أسلوب توافقي بين ما قدّمهُ الكاتب والجوانب التي تصبُّ في المنبع نفسه، وتتلخص في استعراض العبارات التي ذكرهن الأستاذ السهلاني معتبراً الأخلاق التربوية بأنها الطريق الأمثل للسعادة، وسلوكاً تربوياً مقدم على كل أشكال التربية وأدواتها الكثيرة.

إذ نجد أن المؤلف ركّز على العبارات التالية منها: (الألفة والصدق والإحسان ومساعدة الآخرين والتعاون وأداء الأمانة) على أنها المانعة للانحراف الأخلاقي، وعلى ضوء ذلك نعرّج على بيان تلك المفردات ونبين مصداقها ونتوسع في معانيها وكيف جعلها الكاتب ذات

الصدق: جامع الفضائل والأخلاق وكلمة تجعل من الإنسان أن يقارن بالرعيل الأول من الأنبياء والرسل والأئمة والعلماء، ووفق المبدأ الإلهي الصادقون هم المقرّبون ولهم من الفضل الكثير، أما وفق التعامل الإنساني هم الحالة المثالية التي ينبغي أن يصل إليها الإنسان

علاقة وثيقة بالسعاد.

نستعرض تلك العبارات على النحو التالي:

اولاً- الألفة: بمفهومها العام يقيناً يتبادر للذهن أنّ "الألفة" هي حالة من التقارب الودّي الحاصل في المشاعر بين القلوب وهي حالة انسجام ومحبة متبادلة أو شعور لطيف روحي محلهُ القلب، وأشار القرآن الكريم للألفة بعنوان النعمة ونسب الله سبحانه الألفة إليه حيث جعلها في قلوب المؤمنين، فقال سبحانه: ﴿**أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والألفة من ضمن الأخلاق الحسنة التي تُعدُّ وسيلة لحلول السعادة ونشر المودة بين المجتمع وقد حثّ الرسول الأكرم على الألفة وجعلها من الأخلاق في قوله ﷺ: (خياركم أحاسنكم أخلاقا، الذين يَألفون ويُؤلفون)[٢].

ثانياً- الصدق: جامع الفضائل والأخلاق وكلمة تجعل من الإنسان أن يقارن بالرعيل الأول من الأنبياء والرسل والأئمة والعلماء، ووفق المبدأ الإلهي الصادقون هم المقرّبون ولهم من الفضل الكثير، أما وفق التعامل الإنساني هم الحالة المثالية التي ينبغي أن يصل إليها الإنسان.

ميز الله سبحانه عباده الصادقين وأجزل عليهم العطايا وجعلهم من المرضيين، وفي نص الآية المباركة مصداق لذلك: ﴿**قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [المائدة: ١١٩]

ويُعدُّ الصدق الكاشف الحقيقي لماهية الإنسان و إنْ تعدّدت الامتيازات الإيمانية والأخلاقية حيث أوضح الإمام الصادق عليه السلام في حديثٍ له معنى مرتبط في كشف ذاتية حقيقة بعض الناسكين حيث قال عليه السلام: "لا تغتروا بصلاتهم، ولا بصيامهم، فإنّ الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث، وأداء الأمانة".

إنّ الإحسان يلعب دورًا مهماً في تكوين شخصية الفرد بل هو السبب الحقيقي في جعل الإنسان المحسن يتدرج في المناصب الإلهية والدنيوية ويكون ذات مكانة أخلاقية وتربوية مهمة في المجتمع.

ثالثا- الإحسان ومساعدة الآخرين: يعدُّ الإحسان هو فلسفة إخلاقية عملية تتمثل في مساعدة الآخرين، وتنقسم إلى مراحل تبدأ بالقول وتنتهي بالفعل، حيث ان هذا السلوك يرتبط ارتباطا وثيقا بالكرم ويسهم في تحسين المجتمع من الناحيتين الاقتصادية والأخلاقية في نفس المسار، والإحسان جانبان الأول: هو عنصر من عناصر المحبة عن الامام علي عليه السلام: من كثر إحسانه أحبه إخوانه[٣]، اذن الإحسان مقدمة والمحبة نتيجة ذلك الإحسان.

الأمر الثاني: إنّ الإحسان يلعب دورًا مهماً في تكوين شخصية الفرد بل هو السبب الحقيقي في جعل الإنسان المحسن يتدرج في المناصب الإلهية والدنيوية ويكون ذات مكانة أخلاقية وتربوية مهمة في المجتمع، وهذا الأمر نجده واضحاً في قصّة نبي الله يوسف عليه السلام حيث قال الله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [يوسف: ٥٦] وكثير من الآيات تتحدث حول الإحسان والمحسنين والرحمة القريبة منهم دوماً.

رابعاً- التعاون: لقد حثَّ القرآن الكريم على التعاون في آيات كثيرة، منها: قوله- سبحانه وتعالى-: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾، «المائدة: ٢»

يُعدُّ التعاون خلقاً حسناً إذا اندرج ضمن قائمة الإصلاح فليس كل تعاون هو محبّذ وهذا الأمر حاصل في بعض التحالفات الهادفة لزعزعة القيم والأخلاق في العالم وإدخال المنظومة العالمية في دوامة الأخلاق المذمومة بأساليب عسكرية وأخرى فكرية، ونحن لسنا بصدد هذا الأمر بل نميل كلّ الميل نحو التعاون الهادف لصلاح المجتمع وجعل العالم بيئة آمنه وعيش سعيد في ظلّ التكافل الاجتماعي ضمن دائرة التربية الأخلاقية العامة.

خامساً- أداء الأمانة: أداء الأمانة من الناحية الشرعية واجب شرعي، و للأمانة مصاديق متعددة في حياتنا، حيث إنّ العبادات أمانة، والأخلاق أمانة، وحقوق الناس أمانة وولاية

الأئمة المعصومين أمانة، وغيرها من الأمور المادية والمعنوية تندرج بطريقة أو أخرى ضمن أداء الأمانة، و هذه الأداة الأخلاقية يؤسس في المجتمع طابعاً تربوياً يحثُّ الجميع على أنْ يتحلّى به من أجل الوصول إلى محورية السعادة الحقيقية، وكما عرفنا أن الصدق هو الاختبار الحقيقي الكاشف عن ماهية الإنسان كذلك أداء الأمانة تلعب دوراً كبيراً في أصل الحقيقة النفسية والأخلاقية في ذلك الإنسان، وعليه فإن الله سبحانه جعل بعث الأنبياء والرسل من أساسيات بعثهم هي صدق الحديث وأداء الامانة كما يُنقل عن الإمام الصَّادق عليه السلام أنّه قال: "إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث نبيّاً إلّا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البرّ والفاجر" (٤).

منهجية التربية موجودة بالفعل نادت بها كُلُّ الكتب السماوية وأكدت عليها كلُّ النظم الأخلاقية وهي الطريق والسبيل نحو السعادة وعبارات الأخلاق التربوية غطّت المجلدات وزادت حتى أفاضت على المكتبات.

الأمر المهم والسؤال الذي يتكرّر لماذا لا يوجد تطبيق فعلي لتلك المنظومة الأخلاقية التربوية ؟

الجواب بكل تأكيد هو: لا يكفي فهم معنى العبارات التربوية إذا لم يكن لها واقع خارجي يحاكي المجتمع ويتسع فيكون منهجية حاكمة بذاتها نابعة من الروح الأخلاقية، ولذلك نجد في بعض المجتمعات تطبيق المنهجية الأخلاقية التربوية بصورة شبه كاملة مما تجعل من هذا المجتمع ينعم بالرفاهية والسعادة وهنا أقصد بالرفاهية التي تخصُّ فقط الجانب المالي وإن كان هو منها لكن رفاهية الوصول إلى قمم العلم، والعيش بسلام، والشعور بالمسؤولية اتجاه النفس والبلد والعمل من أجل التسامح ونشر المحبة، تلك هي الرفاهية الحقيقية، وتطبيق ذلك لا يحتاج إلى معجزة مع وجود تعاليم الإسلام فحريٌّ بنا نحن أن نطبقها، حيث نجد أنّ دولاً كثيرة عملت على تطبيق الجوانب الأخلاقية وفق أسلوب (الاستفادة من التجارب السابقة والعمل على التصحيح مع قانون قوي يحكم الجميع تديره الدولة).

أحثُّ القارئ الكريم على قراءة كتاب (منهج الحياة التربوي) لتتضح له بعض الأمور التربوية الأخرى التي من خلالها سيدرك أهمية التربية في بناء مجتمع صالح وكذلك الوصول إلى الريادة في مجالات الحياة كافة.

---

(١) منهج الحياة التربوي، مهند السهلاني، صادر عن العتبة العباسية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية - شعبة الدراسات والنشرات.
(٢) تحف العقول: ٤٥.
(٣) ميزان الحكمة ، محمد الريشهري ، ج١، ص ٦٤١.
(٤) الكافي ، الشيخ الكليني ، ج ٢ ،ص ١٠٤.

حجاب المرأة المسلمة

شبهات وردود

الباحثة سجى صلاح مهدي
مديرية التربية/ القادسية

أُثيرت حول الحجاب شبهات عديدة، أغراضها السيئة واضحة، وتحت عنوانات مختلفة الغاية منها: جعل المرأة سلعةً رخيصةً وفي متناول اليد والناظر، ومن هذه الشبهات:

الشبهة الأولى: أنّ الحجاب فيه اعتداءٌ على حقوق المرأة، وتقييد لحريتها وازدرائها[1].

الرد على الشبهة: ليس هذه الدعوى صحيحةٌ، وقد سبق البيان بأن المرأة موضع تكريم واحترام في المجتمع المسلم، ومن مقاصد الشرع في إيجابه الحجاب، هو أن تبقى المرأة درة مصونة، متلألئة غالية، ما دامت محافظةً على سترها وحيائها، وبهذا يكون تعاملها مع الرجل على أساس الطهر والعفاف، فتكبر في عين الرجل ويسمو دورها في الحياة والمجتمع، فالحجاب إذاً لسعادتها وحفظ حقوقها، لا العكس.

الشبهة الثانية: الحجاب رمزٌ للغلوِّ والتعصب الطائفي والتطرف الديني:

زعم أعداء الحجاب: أنَّ حجاب المرأة رمزٌ من رموز التطرف والغلوّ، وعلامةٌ من علامات التنطُّع والتشدد، مما يسبب تنافرًا في المجتمع وتصادمًا بين الفئتين، وهذا قد يؤول إلى الإخلال بالأمن والاستقرار.

الرد على الشبهة يكمن في أنَّ:

١- هذه الدعوى مرفوضة من أساسها، فالحجاب ليس رمزًا لتلك الأمور، بل ولا رمزًا من الرموز بحال؛ لأنّ الرمز ما ليس له وظيفة إلا التعبير عن الانتماء الديني لصاحبه، مثل الصليب على صدر المسيحي أو المسيحية، والقلنسوة الصغيرة على رأس اليهودي، فلا وظيفة لهما إلَّا الإعلان عن الهوية. أما الحجاب فإنّ له وظيفة معروفة وحِكَما نبيلة، هي الستر والحشمة والطهر والعفاف، ولا يخطر ببال من تلبسه من المسلمات أنها تعلن عن نفسها وعن دينها، لكنها تطيع أمر ربها، فهو شعيرة دينية، وليس رمزًا للتطرف والتنطع.

ثم إن هذه الفرية التي أطلقوها على حجاب المرأة المسلمة لماذا لم يطلقوها على حجاب الراهبات؟! لماذا لم يقولوا: إن حجابَ اليهوديات والنصرانيات رمزٌ للتعصب الديني والتمييز الطائفي؟! لماذا لم يقولوا: إن تعليق الصليب رمزٌ من رموز التطرف الديني وهو الذي جرّ ويلات الحروب الصليبية؟! لماذا لم يقولوا: إنَ وضع اليهودي القلنسوة الصغيرة على رأسه رمزٌ من رموز التطرف الديني وبسببه يحصل ما يحصل من المجازر والإرهاب في فلسطين المحتلة؟!

٢- إنّ هذه الفرية يكذّبها التاريخ والواقع، فأين هذه المفاسد المزعومة والحجاب ترتديه المرأة المسلمة منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا؟!

٣- إنّ ارتداء المرأة للحجاب تمَّ من منطلق عقدي وقناعة روحية، فهي لم تلزَم بالحجاب بقوة الحديد والنار، ولم تدعُ غيرها إلى الحجاب إلا بالحكمة والحجج الشرعية والعقلية، بل عكس القضية هو الصحيح،

وبيـان ذلـك أنّ إلـزام المـرأة بخلـع حجابهـا وجعـل ذلـك قانونـا وشريعـة لازمـة هـو رمـز التعصـب والتطـرف اللادينـي، وهـذا هـو الـذي يسـبب التصـادم وردود الأفعـال السـيئة؛ لأنـه اعتـداء على الحريـة الدينيـة والحريـة الشـخصية.

الشـبهة الثالثـة: قالـوا: الحجـاب فيـه تقييـد للمـرأة، وسـبب في تخلّفهـا في طلـب العلـم، وتقدّمهـا إنّما يكـون مرهونـاً بتحرّرهـا منـه[٢].

الـرد على الشـبهة: ليـس هنـاك علاقـة أو ملازمـة بين التقـدّم أو التخلّـف بشـكل عـام وبين الحجـاب، فهنـاك نسـاء بلغـن الـذروة في المجـالات العلميـة والخدمـات الاجتماعيـة، والفكريـة مـن لـدن عصر النبـي ﷺ وإلى اليـوم، فهـل هـؤلاء يوصفـن بأنهـن متخلفـات؟ وهـل حـال الحجـاب بينهـن وبين التميـز؟ وهـل يسـتطيع عاقـل أن يسـم نسـاء آل البيـت عليهم السلام وعلى رأسـهن السـيدة خديجـة الـكبرى والسـيدة فاطمـة الزهـراء والسـيدة زينـب (عليهما السلام) والصـالحات مـن نسـاء المؤمنين الفضليـات ومـن بعدهـن بالتخلّـف وعـدم التقـدّم؟![٣] اللهـمَّ إلا إذا أرادوا بالتقـدم الانـسلاخ مـن الكرامـة والحيـاء، وغالبـاً مـا يريـدون هذا[٤].

الشـبهة الرابعـة: قالـوا: الحجـاب دليـلٌ على إسـاءة الظـن بالمـرأة، وعـدم وثـوق الـزوج بهـا.

الـرد على الشـبهة: الحجـاب شرع لصـون المـرأة وسترهـا، وهـي مأمـورة بالحجـاب متزوجـة كانـت أم عزبـاء، والتزامهـا بالحجـاب فيـه إرضـاء لخالقهـا، ثـم إرضـاء لزوجهـا وذويهـا، وهـذا مـن شـأنه أنْ يبعـث الثقـة بهـا، والاطمئنـان إليهـا وإلى سـلوكياتها، ومـا يقولـوه مـن عـدم الثقـة بهـا فما قولهـم عـن (الضمانـات والوثائـق التـي وضعـت لحفـظ حقـوق المجتمـع ودمائـه وأموالـه، ولتنشـئة روح الأمانـة في نفـوس أفـراده، وتمرينهـم عليهـا في جميـع معاملاتهـم وأعمالهـم.. فليقولـوا إنهـا تعنـي اتهـام النـاس بالسرقـة، والجنايـة، والخيانـة)[٥]، فالحقيقـة هـي عكـس مـا يقولـه هـؤلاء تمامـاً.

الشـبهة الخامسـة: قالـوا: إنّ عفّـة المـرأة في ذاتهـا لا في حجابهـا:

أي إنّ عفّـة الفتـاة حقيقـة كامنـة في ذاتهـا، وليسـت غطـاءً يلقـى ويسـدل على جسـمها، وكـم مـن فتـاة محتجبـة عـن الرجـال في ظاهرهـا وهـي فاجـرة في سـلوكها، وكـم مـن فتـاة حاسـرة الـرأس كاشـفة المفاتـن لا يعـرف السـوء سـبيلاً إلى نفسـها ولا إلى سـلوكها[٦].

الـرد على الشـبهة: إنَّ هـذا صحيـح، فما كان للثيـاب أنّ تنسـج لصاحبهـا عفّـة مفقـودة، ولا أن تمنحـه اسـتقامة معدومـة، وربَّ فاجـرة سترت فجورهـا بمظهـر سترهـا.

ولكـن مـن هـذا الـذي زعـم أن الله إنما شرع الحجـاب لجسـم المـرأة ليخلـق الطهـارة في نفسـها أو العفـة في أخلاقهـا؟! ومـن هـذا الـذي زعـم أن الحجـاب إنما شرعـه الله ليكـون

إعلانًا بأن كل من لم تلتزمه فهي فاجرة تنحط في وادي الغواية مع الرجال؟!

إن الله عز وجل فرض الحجاب على المرأة محافظة على عفة الرجال الذين قد تقع أبصارهم عليها، وليس حفاظًا على عفتها من الأعين التي تراها فقط، ولئن كانت تشترك معهم هي الأخرى في هذه الفائدة في كثير من الأحيان إلّا أنَّ فائدتهم من ذلك أعظم وأخطر، وإلا فهل يقول عاقل تحت سلطان هذه الحجة المقلوبة: إنَّ للفتاة أن تبرز عارية أمام الرجال كلهم ما دامت ليست في شك من قوة أخلاقها وصدق استقامتها؟!

إن بلاء الرجال بما تقع عليه أبصارهم من مغرياتِ النساء وفتنتهن هو المشكلة التي أحوجت المجتمعَ إلى حلّ، فكان في شرع الله ما تكفّل به على أفضل وجه، وبلاء الرجال إذا لم يجد في سبيله هذا الحلّ الإلهي ما من ريب سيتجاوز بالسوء إلى النساء أيضًا، ولا يغني عن الأمر شيئًا أنْ تعتصم المرأة المتبرجة عندئذ باستقامةٍ في سلوكها أو عفةٍ في نفسها، فإنّ في ضرام ذلك البلاء في نفوس الرجال ما قد يتغلّب على كلّ استقامةٍ أو عفةٍ تتمتّع بها المرأة إذ تعرض من فنون إثارتها وفتنتها أمامهم.

خلاصة القول:

إنَّ هذه الشبهات وأمثالها، لا يُراد بها مصلحة المرأة والغيرة على حقوقها أو سعادتها، وإنما يُراد بها إشباع غرائز أصحابها، وتحقيق أنانيتهم التي تملي عليهم إيجاد صيد سمين دائماً، وآخر ما يفكر به هؤلاء - إن فكروا - هو مصلحة المرأة وسعادتها، فلتحذر الفتاة المسلمة هذه النداءات الكاذبة، والشعارات الزائفة، والتجارة الخاسرة، ولتعتصم بالله عز وجل: ﴿**وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[آل عمران، الآية ١٠١].

---

١. ظ: عبد الأمير الجمري، المرأة في ظلال الإسلام: ٢١٤، عبد الرحمن الفرج، بناء المجتمع الاسلامي: ٢٠٢.
٢. وممن سبق الى هذا القول وهذا الاحتجاج قاسم أمين (ت: ١٩٠٨م) في كتابه: (المرأة الجديدة).
٣. وقد أشار الدكتور رعد محمود البرهاوي الى جملة من النساء المسلمات ودورهن الريادي في الحضارة الإسلامية. ظ: المرأة في الحضارة الإسلامية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، ٢٠٠٩م.
٤. ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، المجتمع الاسلامي المعاصر: ٢٢٤.
٥. عبد الأمير منصور الجمري، المرأة في ظل الإسلام: ٢١٣.
٦. ظ: د.محمد سعيد البوطي، إلى كل فتاة تؤمن بالله: ٩٧.

حـوار العـدد

- حوار مع المفكِّر المغربي
ادريس هاني

في حواره مع مجلة الولاية

المفكّر المغربي إدريس هاني:

أخطـر التحديات التي يواجههـا المجتمع الإسلامي هو التخلّف، فهو تحدٍ يلخّص كل الأبعاد التي تشـكّل تحديات لهذه المجتمعات...

حاوره: هاشم الباججي

إدريـــس هاني، باحث ومفكـــر مغربي، تنصب اهتماماتـــه المعرفية في بحث قضايـــا الفكر العربي والاسلامـــي، كالنهضة والإصلاح الديني، وحركات الإسلام الســـياسي، وتحليـــل جيوستراتيجيا السياســـة، له العديد من الكتـــب المقالات والأبحاث المنشـــورة، وكذلك مشـــاركات في ندوات ومؤتمـــرات فكريـــة وسياســـية محلية وعربيـــة ودولية أقيمـــت في أقطـــار العالم العـــربي والعالم الإسلامي.

ويرتبـــط المشروع الفكري الـــذي يعمل عليـــه المفكر إدريس هـــاني بالفكر العـــربي والفكر الإسلامـــي في عمومه وشـــموله، إذ يرتكـــز المشروع على القضايا الكبرى المرتبطة بســـؤال النهضة والمشروع الحضـــاري، وفي هذا الخصوص يكتـــب الباحث الأذربيجاني (كمال قاســـيموف) حول الباحـــث إدريس هـــاني بالقـــول: إنَّ إدريس هاني هـــو الفيلســـوف الناقد؛ الناقـــد الحضاري والفكـــري اللاذع مع حضـــور رؤية معرفيـــة عميقة ومتعددة الأبعـــاد، ترتبط فلســـفته بمنهجه النقـــدي ارتباطاً وثيقاً، كما أن منهجه النقدي يؤســـس فلســـفته، وهو ناقد للفكـــر العربي المعاصر، والأيديولوجيـــات والعلوم الإسلامية، والخطابـــات الدينية والسياســـية، والسرد التقليدي لتاريخ الفكر الإسلامي الديني والفلســـفي.

كيف تنظرون إلى الواقـــع الثقافي والديني في العالم الاسلامي؟

نظرة مُنصفٍ يحســـن رؤيـــة النصف المملوء من الكأس كما يحســـن رؤية النصـــف الفارغ مـــن الـــكأس، فالقـــراءة متعـــددة الأبعاد لما يعانيه العـــالم الإسلامي تضعنا أمـــام الجواب الواقعـــي؛ هنـــاك تفـــاوت بين أقطـــار العالم الإسلامـــي وتوزيع مختلف لأزماته ومكاســـبه أيضـــا، لكن هنـــاك عمومـــاً صمـــود للعالم الإسلامي بخصوص هويتـــه الثقافية والدينية، فما زال الديـــن قائما، والتعبيرات الشـــعبية عن الدين متواصلـــة، والبحث والإنتـــاج الثقافي والدينـــي متواصل، وفي مقابـــل كل هذا توجد أوضـــاع صعبـــة ومشـــكلات تهـــدد الثقافة والديـــن والهوية في العـــالم الإسلامي.

فهـــذا الأخير هـــو في حالـــة صراع مع كل التهديـــدات التي تعـــاني منها الثقافـــة والدين في العـــالم؛ لا ســـيما في العـــالم الإسلامي، لكن يبقـــى العالم الإسلامـــي في نهايـــة المطاف هو أمل الشـــعوب ورافد أساس لمســـتقبل الثقافة والدين في العـــالم، باعتباره العالم الأكثر تشـــبثّا بهذه الهوية.

في رأيكـــم من هـــو الأخطـــر على الواقع الإسلامـــي؟ الصراع الديني العلماني، أم الصراع الطائفي؟

كلاهما خطـــر يتهدد الواقـــع الإسلامي، لا ســـيما وأنه صراع مُضرّ بالنســـيج الاجتماعي، ويتهـــدد ســـلمه الأهلي كما ولـــه بالجملـــة

امتـــدادات في كل أبعاد الوجـــود الجماعي، غير أنّ الأخطـــر هنا هـــو الصراع الطائفـــي، لأنّنا في نهايـــة المطـــاف نواجـــه في الصراع الطائفي توافقـــاً عجيباً بين العـــلماني والديني، وهي من المفارقـــات العجيبة.

ففـــي الآونـــة الأخيرة أصبحـــت النخب نفســـها ضحية للخطـــاب الطائفـــي لا تتميز عن العامـــة بدربة التحقيقية ومســـتوى الوعي بطبيعة الأشـــياء، وكأنّ الصراع الطائفي يسلب الإنســـان رَوِيّته ويصيبه بالعمـــى المزمن، وهذا مـــا يؤكد أنّ هناك أمورًا ملتبســـة وغير واضحة في هـــذا النمط مـــن الصراع، الـــذي تنتهي به العصبيـــة إلى توافق طائفي أحيانـــا بين العلماني الطائفي والدينـــي الطائفي.

ما أبـــرز التحديات التـــي يواجهها المجتمع الإسلامي؟

أخطر التحديـــات التي يواجههـــا المجتمع الإسلامـــي هو التخلّف، فهو تحـــدٍ يلخّص كلّ الأبعاد التي تشـــكل تحديات لهذه المجتمعات، نتحدث هنا عن التحدي الثقـــافي والاجتماعي والســـياسي والحضاري عموما.

ثمّة معـــايير يقاس بها تخلّـــف المجتمعات، وهي ليســـت منفـــردة بل تحديات متشـــابكة مـــع بعضها، مما يجعـــل الأزمة بنيويـــة، فتقرر أن تكـــون الحلول بنيوية لا تقـــف عند أعراض التخلّـــف، وقد انتهى التخلّـــف الذهني ببروز ظواهر الفهـــم الخاطئ للديـــن في هذا المجتمع وبروز أشـــكال من التطرفـــات التي حاولت تقويض التســـامح الديني ونزعته العقلانية كما ظهر في الســـنوات الأخيرة.

مـــا العوامل التـــي تســـاعد على النهوض بالواقـــع الدينـــي والفكري لدى الشـــعوب الإسلاميـــة عموما؟

تبـــدو إمكانـــات العالم الإسلامـــي وفيرة، وتعزوه الإرادة السياســـية والاستيعاب الحقيقي لأزماتـــه، فالعامل المفقـــود هنا هـــو التوافق على مخطـــط جماعي قابـــل للتنفيـــذ للنهوض بهذا الواقـــع الذي ما يـــزال في حالـــة انتظار لموقف ومخطـــط إنمائي شـــامل، ونهضة علمية لإصلاح الأوضـــاع الدينية والثقافيـــة، باعتبار أنّ المجتمـــع بطبيعته متـــغير، ونوازله لا حدود لها، ما يقتضي مواكبة الجهـــد والاجتهاد لتوفير إجابـــات حقيقية لهـــذه التحديات.

مـــا أهـــم المؤسســـات الدينيـــة العلمية والثقافيـــة في بلاد المغـــرب العـــربي؟ وما مدى انفتاحهـــا على المجتمع؟

هناك خطأ شـــائع في اســـتعمال اسم المغرب العـــربي، آن الأوان لندقـــق فيـــه، لأنّ عامّة المشـــارقة العرب وليس خاصتهم وخبراءهم، ما زالوا لا يدققون في اســـم المغـــرب، فحينما يســـتعملون كلمة مغرب يقصـــدون بها عموم دول شمال إفريقيـــا، وحين يتقدمـــون أكثـــر يســـتعملون كلمة المغرب العـــربي ويقصدون بها المغـــرب، تصور لـــو قلت مثلا: الشـــام، وقصدت بهـــا ســـوريا والأردن وفلســـطين ولبنـــان، فيكـــون المبرر أننا نطلق هذا الاســـم التاريخي على جغرافيـــا متحولة.

إذا كنتـــم تقصدون المغرب، وهـــو نار على علم، وبلد عريـــق لا يمكـــن أن تُخطئه العين، فهو هـــذا الذي يســـميه الأتراك بفاســـتان أو

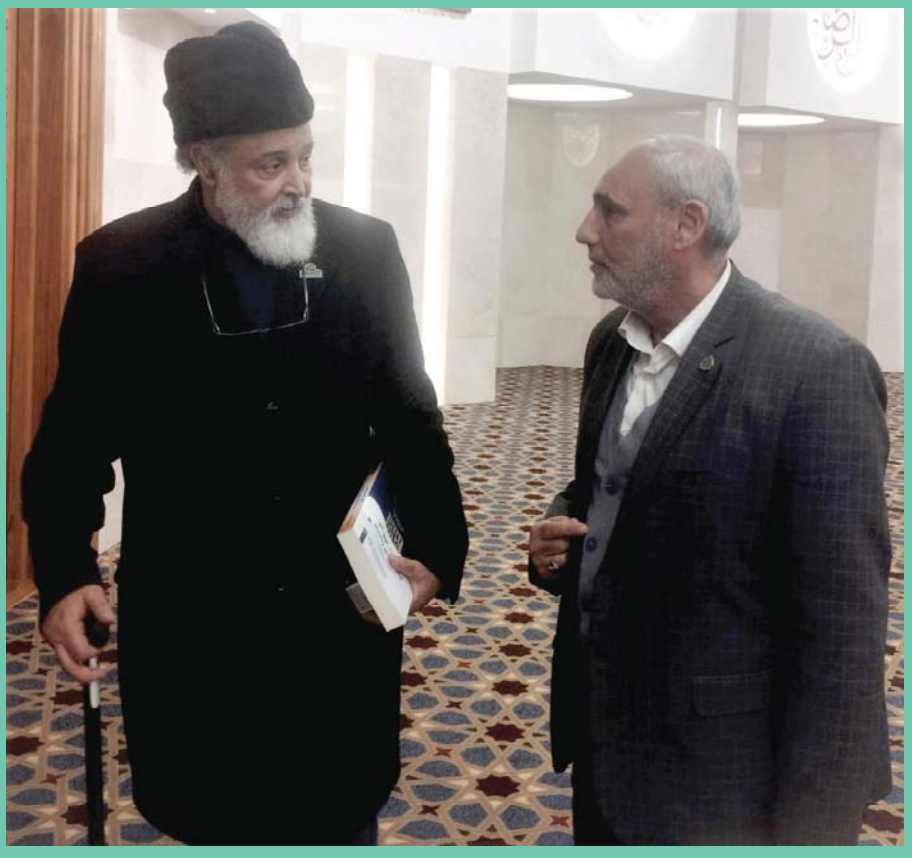

في الآونة الأخيرة أصبحت النخب نفسها ضحية للخطاب الطائفي لا تتميز عن العامة بدربة التحقيقية ومستوى الوعي بطبيعة الأشياء، وكأنّ الصراع الطائفي يسلب الإنسان رَوِيّته ويصيبه بالعمى المزمن، وهذا ما يؤكد أنّ هناك أمورًا ملتبسة وغير واضحة في هذا النمط من الصراع

الفرس بمراكش، فهو الآن المغرب، أما المغرب العربي فهو اسم يطلق على الدُّول الخمس في شمال إفريقيا، وهو حلم تطلعت إليه تلك الشعوب وما زالت نظرًا لتداخل السلالات والتجربة التاريخية والامتداد الجغرافي.

وعلى هذا الأساس سأجيب عن المغرب العربي عموماً، فلقد عرف تجربة في المجال الديني كبيرة وما زالت مؤسسات علمية كبيرة وأصيلة تتسم بهذه التجربة، كالقرويين والزيتونة ومدارس أخرى عريقة على امتداد المغرب العربي، وهي مؤسسات علمية ما زالت تشكل رافدا منفتحا على المجتمع.

إن كان لا بدّ أن أحكي عن تجربة المغرب، فلقد كانت القرويين منفتحة على المجتمع، وقد أسهم هؤلاء العلماء في تطويع كثيرٍ من العبارات العلمية التخصصية لتصبح متداولة في الدارجة المغربية؛ لأنّ الطالب في

القرويين كان أيضاً يزاول حِرَفًا متعددة، ويتقاسم معارف مع زملائه، ويسلك في ذلك طرقا بيداغوجية لتقريب هذه القضايا من المجتمع، وكانت هذه المؤسسة قريبة من المجتمع؛ لأنّها هي من يوفر الأعلام الدينية المؤطرة للمجتمع، كما أسهمت في الحركة الوطنية ومناهضة الاستعمار، إذ في تلك الآونة أصبحت جامعة القرويين قلعة مناهضة للاستعمار الثقافي لا سيما بعد أن حصل صراع بين جامعة القرويين ومؤسسات التعليم التابع للحماية.

ما أبرز آراؤكم وبحوثكم التي تسعون إلى نشرها؟

لدي العديد من البحوث التي نشرتها عدد من مراكز الابحاث والمجلات الفكرية المختصة، سأذكر بعضا منها:

العالم بوصفه حضورًا ميتافيزيقيًا، مناعة القطيع كأطروحة مستأنفة للماسونية زمن العبث البيولوجي، المقاربة المتعالية كطريق لفهم الحكمة المتعالية، الآيديولوجيا بين الحقيقة والزيف، الظاهرة الدينية وإشكالية تعدد المناهج، من شواغل الفكر العربي المعاصر، وغيرها الكثير.

ما انطباعاتكم ومشاهداتكم العلمية والثقافية عن مدينة النجف الأشرف في زياراتكم إلى هذه المدينة المقدسة؟

لهذه المدينة مكانة كبيرة في وجداني وعقلي أيضا، فهي حاضرة عربية وإسلامية تتمتع ببعد روحي استثنائي؛ لاحتضانها ضريح الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الشخصية التي يصعب الإحاطة بمداها العبقري دون استدعاء الخيال، لعظيم مكانتها في تاريخ الإسلام والنوع، ولأنها أيضا ولهذا السبب باتت مدينة العلم والمرجعية والتاريخ النضالي والأدبي والفقهي، مدينة أمير المؤمنين وباب مدينة العلم.

ولقد وُفقت لعدد من اللقاءات العلمية داخل المدينة، ولمست الأهمية والقيمة التي يمنحها أهالي هذه المدينة وعلماؤها للعلم والدين والأدب، فهنا يتألّق الفقه والفكر، وكأنّها مدينة تحرس الضمير والروح والعلم في زمن تتراجع فيه هذه القيم، مدينة أسسها منذ ألف سنة الشيخ الطوسي (قدس سره) وحوّلها إلى حضيرة علمية واجتماعية، تخللتها محطّات استثنائية ولعبت دورًا كبيرًا في حماية العراق قديمًا وحديثًا.

كلمة أخيرة لمن توجهها؟

أوجهها أوّلا لنفسي، عسى أن تزداد إصرارًا على طلب ما به قوام الروح ومدارك العقل، وإلى أهل هذه المدينة بأن يدركوا أكثر فأكثر القيمة الرمزية لهذه المدينة التي يتكثّف فيها هذا الميراث العلوي العظيم، وبأنّها ذخيرة روحية وثقافية وإنسانية يتعين أن ترقى إلى مداها العالمي بوصفها مدينة الروحانية والإنسان.

ببليوغرافيا العلوم

■ التصنيف

اعداد: عمار ما شاء الله
شعبة الخزانة والمتحف/ العتبة العلوية المقدسة

■ قراءة في كتاب (التفسير العلمي عند أئمة أهل البيت عليهم السلام قراءة تحليلية)

د. هادي رزاق الخزرجي
الجامعة الإسلامية / كلية الإعلام

التصنيف

CLASSIFICATION

اهتم الإنسان منذ القدم بتصنيف المعرفة، وبذل الفلاسفة والمفكرون جهوداً لوضع نظم لهذا التصنيف دون أنْ يكون لدى أيٍّ منهم أدنى تفكيرٍ في تطبيق هذه النظم في المكتبات، فقد حاول إفلاطون في كتابه "الجمهورية" تصنيف المعرفة إلى قسمين:

١ـ عالم المحسوس، أي الطبيعيات.

٢ـ عالم المعقول، أي الرياضيات والإلهيات.

أمّا أرسطو فقد صنّفها إلى:

١ـ العلوم النظرية، مثل الهندسة والفلك والحساب.

٢ـ العلوم العملية، مثل علم الأخلاق والاقتصاد والسياسة.

٣ـ العلوم الإنتاجية، مثل الشعر والبلاغة والجدل.

كما صنفها توما الاكويني وهو من الرهبان إلى:

١ـ المنطق.

٢ـ العلوم النظرية.

٣ـ العلوم العملية.

واستمر الفلاسفة في نشاطهم، ولكن كان من أشهر الفلاسفة الذين أثّرت نظرياتهم على التصنيف الببليوغرافي فرانسيس بيكون الذي ضمّن نظريته في **لائحة المعرفة البشرية واعتمد في تصنيفه على ثلاث قوى عقلية هي:**

١ـ الذاكرة، ومنها انبثق التاريخ.

٢ـ الخيال، ومنه انبثق الشعر والفنون.

٣ـ العقل، ومنه انبثقت الفلسفة.

وهناك عدد كبير من تعريفات لفظ التصنيف ذكرتها المصادر المختلفة سنورد أهمها:

١ـ بليس:

التصنيف سلسلة أو نظام من الأقسام أو الأصناف، مرتبة وفق مبدأ مفهوم أو عرض أو اهتمام، أو أية مجموعة منها معاً، ويطلق المصطلح على ترتيب أسماء الأقسام أو الأصناف، أو ترتيب الأشياء التي جرى تصنيفها سواء كانت مادية أو مجردة.

٢ـ رتشاردسون:

إنّ أوفى وأدق تعريف للتصنيف هو وضع

الأشياء المتشابهة معاً.

٣ـ رانجاناثان:

تصنيف المكتبة هو تقديم فكرة متعددة الأبعاد في شكل خطي واحد.

٤ـ طاش كبرى زاده:

هو علم باحث عن التدرج من أعمّ الموضوعات إلى أخصّها ليحصل بذلك موضوع العلوم المندرج تحت ذلك الأعم. ويمكن التدرج فيه من الأخص إلى الأعم كذلك.

٥- بالدوين:

التصنيف هو عملية جمع الأشياء المتشابهة، وكذلك تعرفه دائرة المعارف البريطانية عن طريق تحديد الغرض منه بأنه [تبسيط تناول المواد سواء كانت نباتاً، أم حيواناً، أم أشخاصاً، أم كتباً، عن طريق تجميع تلك الأشياء التي لها صفات متشابهة].

من هذه التعريفات نستطيع أنْ نخلص إلى أنّ التصنيف: هو عملية تجميع الأشياء المتشابهة معا. ويشترك جميع أعضاء المجموعة الواحدة، أو القسم أو الصنف الواحد، الناتجة عن التصنيف في خاصية واحدة على الأقل لا يملكها أعضاء الأقسام أو الأصناف الأخرى. أمّا الأشياء التي تصنَّف فقد تكون وحدات مادية، أو أفكاراً عن هذه الوحدات المادية، أو وحدات مجردة.

وقد يجري تحديد التشابه بواسطة الآلات أو الإنسان، والإدراك البشري للخصائص المشتركة قد يكون بديهيًا أو نتيجة لتفكير واعٍ.

إنّ للتصنيف علاقة وثيقة بالعلم والمعرفة والحياة، فهو يطبق في العلوم المختلفة كما يطبق في مجالات الحياة، ويرى لانجريدج (إنّهُ بدون التصنيف لا يمكن أن يكون شيء من التفكير الإنساني، أو الفعل أو التنظيم الذي نعرفه، فالتصنيف ينقل الانطباعات الحسية الشعورية الملازمة وغير الملازمة إلى أشياء يمكن التعرف عليها) ثم يضيف (وقد كتب أحد علماء النفس الانكليز، وهو باتريك ميريدث: إن قدراً كبيراً من فن التعلم يتألف من عادات الإنسان في التصنيف).

وقد اقترح الفيلسوف الأمريكي جون ديوي عند نقطة معينة أنّ المعرفة هي التصنيف. وفي حين إن هذا قد لا يكون تعريفاً صحيحا للمعرفة إلاَّ أنّه يؤكّد أهمية دور التصنيف.

ويوجد كثير من التصانيف لترتيب الأشياء، وقد تكون هذه بسيطة وواضحة إلى حد كبير، كما في السوبر ماركت، وقد تكون أكثر تعقيدا وتحتاج إلى معرفة جيدة في الإنشاء والاستخدام، كما في مخزن المصنع أو قطع الغيار.

أمّا في مجال علم المكتبات فيعتقد بأنّ الآشوريين قد قسّموا الألواح المكتوبة إلى قسمين الأول منها يعالج علوم الأرض، أمّا الثاني فعلوم الفلك والنجوم. ويعد كلياخوس Collimates (٣١٠-٢٤٠ق.م) أول مكتبي معروف في التاريخ حيث نظم مكتبة الاسكندرية بتقسيم المعرفة إلى خمسة أقسام. الشعر والتاريخ والفلسفة والأعمال الأدبية و الخطابة. ثم قسّم هذه الأقسام إلى أجزاء. كما عرف عنه أنه استعمل الترتيب الزمني وكذلك الترتيب الهجائي لأسماء المؤلفين.

وفي مكتبات الأديرة كانت الكتب ترتب حسب المواضيع وحسب الأحجام، إذ كانت توضع في خزائن كل خزانة تحمل رمزاً، أمّا الكتاب نفسه فيحمل علامة مطبعته، أي إنَّ الترتيب كان على النحو الآتي:

الخزانة - الرف - الكتاب - علامة مطبعية.

أمّا اليسوعيون فكانوا يضعون الكتب المسيحية على الجانب الأيسر من المدخل، والكتب غير المسيحية في الجهة المقابلة لها، وتميز المجموعتان بنوعي التجليد إذ المجموعة الأولى فاخرة التجليد والثانية مغلفة بأغلفة سوداء.

وأهم الأنظمة في تلك الآونة نظام التصنيف الذي ألّفه جبريل نوديه Gabrie Naude الفرنسي الذي قسم فيه المعرفة إلى ١٢ قسماً هي:

الديانات - مصادر الكتب -الفنون الحربية - المجمع المقدس والنظم الكنسية - الجغرافيا والسياسة - الطب - التقاويم التاريخية - الفقه - الفلسفة - التاريخ - الأدب.

أمّا التطور الحديث للتصنيف فقد بدأ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ومنذ ذلك الحين صدرت الطبعات الأولى من الانظمة الآتية:

١- نظام التصنيف العشري (ولفيل ديوي عام ١٨٧٦م).

٢- نظام التصنيف التوسعي (وضعه شارل كتر عام ١٨٩١م).

٣- نظام مكتبة الكونغرس (وضع عام ١٩٠٢م).

٤- نظام التصنيف الموضوعي (وضعه جيمس براون عام ١٩٠٦م).

٥- نظام التصنيف التوضيحي (وضعه رانجاناثان عام ١٩٣٣م).

٦- نظام التصنيف الببليوغرافي (وضعه هنري بليس عام ١٩٣٣م).

٧- نظام التصنيف العشري العالمي (وضعه اعتماداً على تقسيمات نظام ديوي للمعرفة هنري لافونتين وبول أوتلت باللغة الفرنسية عام ١٩٠٥م لمصلحة المعهد الدولي للببليوجرافيا (وهو الذي يدعى الان الاتحاد الدولي للتوثيق FID).

المصادر:

١. نظم التصنيف الحديث / احمد المدادحة.
٢. دور التصنيف في المكتبات ومراكز المعلومات / عبدالوهاب عبدالسلام ابوالنور.

قراءة في كتاب:

التفسير العلمي عند أئمة أهل البيت عليهم السلام

قراءة تحليلية

د. هادي رزاق الخزرجي
الجامعة الإسلامية / كلية الإعلام

يعد هذا الكتاب، لمؤلفه الدكتور سيروان عبد الزهرة - وهو المعروف بتخصّصه بالدراسات القرآنية، إذ ألّف العديد من الدراسات القرآنية السابقة - من أحدث ما ظهر في مجال التفسير العلمي؛ إذ صدر بطبعته الأولى -٢٠٢٤.

يُعدُّ التفسير العلمي لقسم من الآيات القرآنية موضوعاً تفسيرياً مثيراً للاهتمام؛ فهو، من جانب، يربط النص القرآني المنزل منذ أكثر من ١٤٠٠ عام بالمسيرة العلمية المستمرة والمعاصرة، التي تتسارعُ بشكل فائق في كل الاتجاهات، ومن جانب آخر، فإنّ هذه المقاربة التفسيرية مثار جدل بين المؤمنين والمعترضين عامةً، فمنهم من يؤكد بيقين لا يقبل الريب أنَّ المضمون العلمي صحيح ودقيق تماماً، وفريق آخر، معترض بكل الأحوال، لا يرى في هذه المضامين أهمية علمية كبيرة، أو أنها من المعروف المألوف، أو بكلُ بساطة، يفضل تجاهل الموضوع برُمّته، والانصراف عنه نحو متابعة التقدم التقني في الحياة اليومية بعيداً عن الشؤون الدينية والنصوص الميتافيزيقية حسبما يرونها من منظورهم. ومن الحتمي أنَّ كل المفسرين على امتداد ظهور مدونات التفسير في الثقافة الإسلامية يمرّون بالتتابع على الآيات ذات المضمون العلمي المباشر، أو الثانوي. وقد يكون ذلك في ضمن تفسير عام، أو بالموروث الحديثي، أو العرفاني، وغيرها من اتجاهات التفسير...

يعدُّ هذا الكتاب، لمؤلفه الدكتور سيروان عبد الزهرة - وهو المعروف بتخصّصه بالدراسات القرآنية، إذ ألف العديد من الدراسات القرآنية السابقة - من أحدث ما ظهر في مجال التفسير العلمي؛ إذ صدر بطبعته الأولى -٢٠٢٤. وبعدد صفحات يربو على مائتي صفحة، وهو يعتمد على مقاربة شيعية خاصة، تتمثل في انتخاب جملة من الأحاديث النبوية والإمامية ذات الصبغة العلمية، والعمل على شرحها، وبيان ارتباطها ببعض الآيات العلمية، والبرهنة على صحة ما جاء فيها من تعليل وبيان علمي محض، وقد بوّب المؤلف كتابه هذا على مجموعة من المحاور، ومهّد لها بمطالب نظرية تعبّر عن جملة من الضوابط المنهجية الخاصّة بطبيعة المقاربة التفسيرية للآيات العلمية. كانت المحاور: (الآيات الكونية، آيات علوم الأرض، آيات علم المياه، آيات علم الأجنّة، آيات علم البيولوجيا، آيات التغيرات الفيزيائية). أحسنَ المؤلفُ بالتمهيد لعرض مجموعة من المصادر ذات الصلة، وبيان ملاحظه عليها، ولكي يتضح للقارئ التمييز بين الجهود السابقة والحالية.

بالتأكيد ما تزال كتب التفسير القرآني تصدر بشكل مستمر، ولكن لعلَّنا نرى أنَّ الاهتمام العلمي العالمي بالتطور التقني جعل التركيز يكون أكثر في البؤرة العلمية المحضة، مثلاً علوم الطب، والفيزياء، والكيمياء، على حساب بقية الجوانب. لكننا، عبر مطالعة هذا الكتاب وغيره، قد نتساءل: لماذا يأتي التفسير العلمي (في الأوساط الدينية الإسلامية) لاحقاً؟ ولماذا لا تظهر كشوف علمية متقدمة مستمدة من الآيات، ويمكن أن توصف بأنها إسهام علمي له قصب السبق كان سبباً لظهور اختراع علمي فيما بعد؟

وهذا ما عرضه د. سيروان بخصوص كتاب د. عايد الحريزي (مخترعات حديثة في القرآن الكريم)، من تقديم تفسيرات علمية، فهي لاحقة للربط بين آيات ومخترعات سبقت التفسير العلمي. وهنا نوضح أن طريقة الكتاب كانت بعرض حديث نبوي أو إمامي، وربطه بمضمون علمي لإحدى الآيات، وإسناد ذلك بما يتوفر من آيات وأحاديث أخرى. وهذا لا يخرج عما

ذكرناه آنفاً من كون التفسيرات العلمية تأتي لاحقة، وربما لا يمكن تجاوز هذا الطوق، إلا بما يقدمه الإمام المعصوم وهذا ما لم يحدث إلا في الماضي وسوف يحدث في المستقبل إن شاء الله، على ما جاء في هذا الحديث عن الإمام المهدي عجل الله فرجه: «عن أبان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: العلم سبعة وعشرون حرفاً؛ فجميع ما جاءت به الرسل حرفان. فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين. فإذا قام القائم عجل الله فرجه أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثها في الناس، وضم إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً». والطريقة الأخرى هي إعمال العقل التفسيري في مضامين الآيات بشكل معّمقٍ جداً، ولا سيما من خبراء علوم الفلك، والرياضيات، والجيولوجيا، والباراسيكولجي وغيرها في محاولة لاستنطاق الآيات كلها، واستخراج ما يمكن من اللمحات العلمية ثم المعرفية العامة الجديدة غير المسبوقة، كما لو أن مفسراً يرى أن العلم سوف يخترع جهازاً يمكّن الإنسان من السفر والتنقل بسرعة قبل ارتداد الطرف، أو إطالة العمر إلى ما يساوي عمر النبي نوح عليه السلام، أو قدرة الإنسان على مكالمة الحيوان... وهكذا من الخوارق المستمدة من التعمق والربط بين الآيات.

وهنا ينبثق سؤال مما سبق، وهو: هل يصح أن كل الآيات لها قراءة علمية؟ أم أنها محدودة العدد مثل آيات الأحكام الفقهية؟ يجيب المؤلف بإحدى الضوابط التي يحدّدها قبل الشروع بالتفسير العلمي، وهي: «تجنب فتح نطاق النص على ما ليس فيه». فإذا كنّا نحاول استكشاف المزيد، والتخلّص، ولو جزئياً، من مسألة التفسير العلمي اللاحق للاختراعات والظواهر، فإننا نجد أنفسنا مجبرين على إتاحة مجالٍ أوسع للمفسر لتأويل الآية علمياً، والتحرر بعض الشيء من قيد هذه الضابطة.

بقي أنْ نقول إنّ المؤلف لم يعرض لسند الأحاديث بل أرسلها مذكورة من كتبها فحسب، ولعلنا نتقبل ذلك من باب موافقتها للنص القرآني، وفي هذا دليل على صحتها، وكذلك بما يشابه التسامح في أدلة السنن، وأيضاً قبولها لأنها معبرة عن عصرها، ولنا أن نذكر بعض الملاحظ التفصيلية:

١- قوله رداً على الدكتور الحريزي في تصور خلاط المياه في آية سورة الإنسان {يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ﴿**عيناً يشرب بها عباد الله**﴾، إذ قال المؤلف: «أما مسألة المزج في الآية فلا يُراد به الخلط لأنواع الماء أو الشراب الذي هو في العين، بل يراد به الرائحة»[1] ولكننا نفهم هنا أن المزج حاصل في الأحوال كلها، مهما كان مقدار الكافور ونوعه سائلاً أم رائحة؛ فلعل الخلاط مقبول إلى حدٍ ما.

٢- أورد المؤلف حديث الإمام الصادق عليه السلام عن وجود ثلاثة أغشية تحيط بالجنين وسماها عليه السلام الظلمات الثلاث: (ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة)، وكلام الإمام واضحٌ في وجود ظلمات محددة، بظلمة البطن عامة كجزءٍ يحتوي الرحم، ثم الرحم نفسه كعضو يحتضن المشيمة، وبعد ذلك المشيمة أو الغشاء الملاصق للجنين. وليس بنحو ما أورده المؤلف من أن هذه الأغشية لا تظهر إلا بالتشريح الدقيق[2].

٣- ما يتعلق بسلوك الغراب، نذكر أنّ الآية الكريمة من سورة المائدة ﴿فبعث الله غراباً﴾ تشير نصاً إلى بعث غراب واحد لا اثنين، وربما كان محض الحفر بادرة تنبيه لقابيل على ضرورة التصرف بالحفر منبهاً لمواراة سوأة أخيه؛ لأنه كان متحيراً خاسراً نادماً. وربما نتساءل أيضاً: هل للغراب كل هذه المستويات من الذكاء؟ وهي أنه (يدفن موتاه، وللغربان محاكم لخروج بعضها على نظام العدالة الفطرية، وتقسيم الجرائم لديها، وجلب الغراب المتهم تحت حراسة مشددة، والغربان تصمت حداداً على جنازة الغراب[٣].

كما ذكرنا في افتتاح المقال، فإن هذا الكتاب، بجدته ودقة منهجيته، جاذب للقراءة، وإعمال التفكير في تفاصيله، وربط مقولاته بما جد ويستجد من التطورات العلمية الأخرى، وربما الحض على التفكير المستقبلي بما يصل إليه عقل الإنسان من الآفاق إن شاء الله.

١- سيروان عبد الزهرة الجنابي، التفسير العلمي عند أئمة أهل ﷺ: ٢٧

٢- المصدر نفسه: ١٢٥.

٣- المصدر نفسه: ١٤٨-١٥٠.

أبرز الكتب والإصدارات التي وصلت إلى مكتبة الروضة الحيدرية المطهرة

تصل إلى مكتبة الروضة الحيدرية المطهرَّة مئات العناوين شهريًا من مختلف المواضيع العلمية والإنسانية والتاريخية والدراسات والبحوث، إذ تحوي العديد من المصادر والمراجع في اتجاهات عدة، لتكون منهلاً مهماً للقرّاء والباحثين..، وفي هذا الباب نحاول إبراز عددٍ من الكتب المهمة التي وصلت هذا الشهر إلى المكتبة..

العنـــوان	المؤلف	الناشر	مكان تواجد الكتاب
تراتيل الغزاة: مقاربات في التاريخ السياسي المعاصر	صديق جوهر	دار العلم و الإيمان	52a 6 27
فوجيان الجميلة	وانغ يوه	بيت الحكمة للاستشارات الثقافية	52a 6 37
موسوعة فتاوى المعاملات المالية للمصارف والمؤسسات المالية الإسلامية	مركز الدراسات الفقهية و الاقتصادية	دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع و الترجمة	$25 3 23 - 4 f
علم الأعصاب و التحكم بالقلق	عامر ابراهيم علوان	دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع	113 4 24 d
أنا اتحكم في التوتر	جولي مارتوري	دار جامعة حمد بن خليفة للنشر	113 4 30 d
نهج التمحور حول الشعب الأمن المعيشي في الصين في العصر الجديد	تشنغقونغتشنغ	البوصلة للنشر والتوزيع	55 1 5 u
تاريخ الاقتصاد العالمي	جان ماركدانيال	دار الساقي	$45 2 29 a
الحروف المقطعة فى القرآن: مفاتيح هندسة الكون والإنسان	آسية وعيل	دار الساقي	$2 3 13 - 12 c
سؤال العدالة فى الفلسفة السياسية الراهنة	أيمن بو طرفة	مركز دراسات الوحدة العربية	$43 2 20 a
الفعاليات الموثقة للبرنامج الوطنى لزراعة وإنتاج الطماطم فى العراق ١٩٩٥-٢٠٠٣م.	حازم عبد العزيز محمود	مطبعة الكلمة	$52 3 24
خلاصة الفتاوى فى تسهيل أسرار الحاوي	عمر بن على بن احمد بن محمد بن عبد الله الأنصارى الشافعى المعروف بابن الملقن	المكتبة الإسلامية	$26 2 21 - 16 i

العنـــوان	المؤلف	الناشر	مكان تواجد الكتاب
شنشي الجميلة	تشو تسو شى	بيت الحكمة	52 6 36 a
عبدالله بن عباس و السيد الخرسان	عادل كاظم عبد الله	دار وادي السلام	$35 4 38
المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحى المناوي	احمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسنى	دار الكتب العلمية	10 6 15-20 g
الدماغ الزواحفي: حول شعبية خطأ علمي	سباستيانلو ميرل	صفحة سبعة للنشر و التوزيع	$41 5 35
المستبعد عند الرضي الاسترابادي في شرح الكافية: دراسة في المفهوم و المعيار	فضيلة صبيح نومان الخزاعي	تموز ديموزي	26 6 12 s
نظام حماية حقوق المؤلف في المصنفات المشتركة و الجماعية: دراسة مقارنة	عقيل محمد موسى الغبان	[لانا]	$23 2 20 h
العلل الواردة في الأحاديث النبوية	أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدار قطني	دار طيبة للنشر والتوزيع	10 6 1-14 g
السلسبيل الشافي في أحكام التجويد الوافي	عثمان سليمان مراد	جمعية عمال المطابع التعاونية	$4 3 34 c
الأجوبة المرضية فيما سئل (السخاوي) عنه من الأحاديث النبوية	شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي	دار الرأي للنشر و التوزيع	$7 3 23 - 21 c
اغتصاب بلاد الرافدين: ما وراء نهب متحف العراق	لورانس روثفيلد	دار الحوار	47 5 50 j
فهارس كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي	محمد السعيد بن بسيوني زغلول	دار الكتب العلمية	21 6 26-28 f
العلاقات الصينية السعودية من نبذ الاعتراف إلى الشراكة الاستراتيجية ١٩٧٨-٢٠٠٨م	نادية كاظم محمد العبودي	دار الأيام للنشر والتوزيع	79 1 22 n
أسئلة فى الدين و الفلسفة و المجتمع	مجموعة باحثين	مؤمنون بلا حدود للنشر و التوزيع	$29 5 17 - 15 a
الساسة و البلاغة قوة المجاز الإقناعية	جوناثان تشارترس – بلاك	دار جامعة حمد بن خليفة	$22 3 24 k
الجريمة و الفساد في المنظمات: لماذا تحدث و ما الذي يجب فعله بشأنها	رونالد ج. بيرك	معهد الادارة العامة – مركز البحوث	$45 2 27 a
الشمول المالي وعلاقته بتطبيقات الذكاء الاصطناعي	يسمينة قاسى	دار الأيام للنشر والتوزيع	75 1 38 s
الفصحى المنطوقة: منزلتها في النظرية النحوية وصورتها في اللغة العربية	محمد رباع	[لانا]	26 6 22 m
الزر: سباق التسلح النووي الجديد وسلطة الرئيس من ترومان إلى ترامب	وليام بيرى	مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية	$24 2 27 c

العنـــوان	المؤلف	الناشر	مكان تواجد الكتاب
لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام	دار البشائر الإسلامية	دار البشائر الإسلامية	106 4 1-17 a
الإرشاد إلى ما وقع فى الفقه و غيره من الأعداد أو الذريعة إلى معرفة الأعداد الواردة في الشريعة	ابن عماد الاقفهسى (780-867هـ)	دار الكتب العلمية	89 صفر 27-28 c
استهلاك الحياة	زيجمونتباومان	صفحة سبعة للنشر و التوزيع	$29 5 12 a
الأنباط التاريخ . المثولوجيا . الفنون	خزعل الماجدي	فضاءات للنشر والتوزيع	55 1 11 u
حكم الكذب على المخالفين	عادل كاظم عبد الله	دار وادي السلام للتحقيق و النشر	$25 5 70 h
قالوا فى تفسير سورة التحريم	عادل كاظم عبدالله	مكتبة فدك	$4 5 31 f
البدر التمام: شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام	حسين محمد المغربي (1048-1119هـ)	دار الوفاء	81 6 23-27 b
الأيزيدية في المصادر الإسلامية: الفتوى الشرعية في التعامل مع الأقليات	هشام بن عبدالكريم البدراني	مكتب التفسير	37 4 15 e
الذيل على موسوعة أطراف الحديث النبوى الشريف	محمد السعيد بن بسيوني زغلول	مكتبة الغرباء الاثرية	$5 5 10 - 7 b
التحول الإلكتروني ترسيخ استراتيجيات التنمية الحديثة	ناجي كي. حنا	معهد الادارة العامة – مركز البحوث	$45 2 31 a
إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين للعلامة زين الدين الملياري	السيد أبي بكر المشهور بالسيد البكري ابن العارف بالله السيد محمد شطا الدمياطي	دار الفكر	$25 5 23-25 e
غريب الحديث	عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن الجوزي	دار الكتب العلمية	$7 4 1-2 c
سلوك الأسواق المالية فهم الأبعاد الاجتماعية والمعرفية و الاقتصادية	ادوينبورتون	معهد الادارة العامة – مركز البحوث	$45 2 32 a

شؤون دولية

ما بعـــد العولمـــة
الدبلوماسية الرياضية تعزز أواصر العلاقـــــــات الدوليـــة

الباحثة عذراء الرماحي
النجف الأشرف

ما بعد العولمة
الدبلوماسية الرياضية تعزز أواصر العلاقات الدولية

الباحثة عذراء الرماحي
النجف الأشرف

شكّلت الرياضة جزءًا أساسيًا من حياة البعض، إذ استخدمت كوسيلة للتفاعل الاجتماعي والتقارب بين الشعوب، ومع تطور المجتمعات وتقدم الدول باتجاهاتها وأيديولوجيتها المختلفة، أصبحت الرياضة أداة فعالة يمكنها تخفيف التوترات وحل النزاعات الدولية، يُطلق على هذا المفهوم "الدبلوماسية الرياضية"، التي تجمع بين التنافس الرياضي والعمل الدبلوماسي لتعزيز الحوار والتفاهم بين الأطراف المتنازعة.

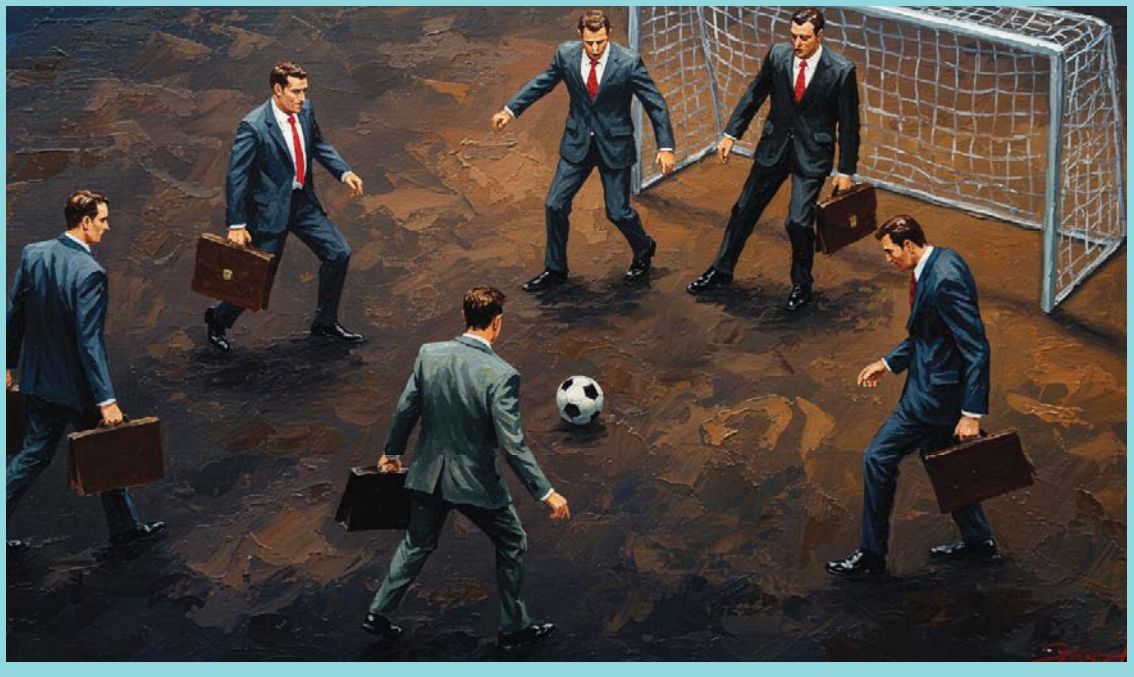

تلعب الرياضة دورًا محوريًا في تعزيز العلاقات بين الدول والشعوب من خلال خلق منصات للتفاعل والتواصل، حيث تجمع الفعاليات الرياضية الكبرى – مثل دورات الألعاب الأولمبية وبطولات كأس العالم لكرة القدم– الناس من مختلف الثقافات والخلفيات الحضارية، لتعزيز التفاهم والتبادل الثقافي، كما توفر هذه الأحداث الرياضية العالمية فرصًا للقاءات الدبلوماسية غير الرسمية بين القادة والمسؤولين، مما يعمل على بناء علاقات قوية ومتينة ويعزز الصداقة بين الدول وبالتالي ينعكس هذا على التفاهمات والعلاقات بين الدول في أغلب أوقاتها بالجانب الإيجابي.

الدبلوماسية الرياضية مفهوم وأهداف:

ازداد استعمال مفهوم الدبلوماسية الرياضية في العقدين الماضيين، وأصبح يحتل مكانة داخل عالم الدبلوماسية العامة، الذي يتطور؛ ليشكل أساساً لبناء علاقات طويلة الأمد بين الشعوب وقد أصبح هناك قدر من الاتفاق على أنّ الرياضة أصبحت وسيلة لتحقيق أهداف السياسة الخارجية للدول وبناء قوتها الناعمة وتشكيل صورتها الذهنية ووضع قضايا سياسية على الأجندة الدولية[1].

كما يشير تعريف الدبلوماسية الرياضية في العلاقات الدولية إلى استخدام الظواهر الرياضية في العلاقات الدبلوماسية بين الدول، ولتحقيق أهداف الدول على اعتبار أن الرياضة ظاهرة عالمية تتجاوز الحدود اللغوية والوطنية والثقافية، ما يسهّل التواصل بين الشعوب والثقافات المختلفة أو التسويق لأفكار ومعتقدات[2].

ومن الاهداف التي تسعى الدبلوماسية الرياضية الى تحقيقها: تعزيز التفاهم والتعاون الدولي كون الرياضة عاملاً هاماً لانسجام الشعوب من خلفيات ثقافية وسياسية مختلفة، يمكن أن تعمل الرياضة كوسيلة لإعادة بناء الثقة بين الأطراف المتنازعة، كما تُعد الرياضة منصة محايدة يمكن من خلالها تحقيق تقدم في العلاقات الدولية والاقليمية.

على طريق الدبلوماسية العامة:

اتجهت الدول مؤخرًا لاستخدام الرياضة كقوة ناعمة، وذلك عبر سعيها إلى استضافة الألعاب الرياضية لتنشيط الدبلوماسية العامة، مدللة على ذلك بكيفية استخدام بعض الدول الغربية لتغيير صورتها بين الجماهير الأجنبية وكسب هيبة دولية، إذ زاد تنافس الدول على استضافة الألعاب الرياضية البارزة باعتبارها أداة لتسريع نمو الاقتصاد مثل (دورة ألعاب الكومنولث، كأس العالم، ودورة الألعاب الأولمبية، وأولمبياد المعاقين)، وعلى هذا الأساس زاد اهتمام دول الخليج بتنظيم مختلف الأحداث الرياضية.

تُسهم الرياضة في إبراز صورة وهويتها الدولة وعلامتها التجارية على الساحة الدولية، وتعزيز الفخر بإنجازات المنتخب الوطني؛ إذ تنجح الأحداث الرياضية الضخمة في جذب انتباه مليارات الأشخاص، فضلا عن أنها تعد منصة مثالية لتسليط الضوء على الدولة المضيفة.

يرى بعض علماء السياسة أن الرياضة قد تمثل – في بعض الأحيان– مؤشرًا على المواقف السياسية

للدول فعلى سبيل المثال، قاطعت الولايات المتحدة الأمريكية أولمبياد موسكو عام ١٩٨٠ احتجاجًا على الحرب السوفيتية على أفغانستان، وفي عام ١٩٥٦ عندما كانت مباراة لكرة الماء بين فريقي الاتحاد السوفيتي والفريق المجري كانت العلاقات متوترة بينهما على خلفية قيام حكومة الاتحاد السوفيتي آنذاك بقصفٍ ما، وحدث عراك بين لاعبين أحدهما مجري والآخر سوفيتي أثناء لقائهما خلال دورة الألعاب الأولمبية الصيفية بأستراليا عام ١٩٥٦، ونتج عن هذا إصابتهما بجروح بالغة، مما جعل البعض يطلق على هذه المباراة اسم "مباراة الدماء في الماء"[٣].

مستقبل الدبلوماسية الرياضية:

مع تزايد مختلف التحديات العالمية التي تطرأ على كوكب الارض مثل تغير المناخ، والجفاف، والصراعات الاقتصادية الإقليمية، والحروب تزداد أهمية الدبلوماسية الرياضية كوسيلة لتخفيف التوترات وتعزيز الحوار، ويمكن أن تسهم التكنولوجيا ووسائل الإعلام الحديثة ايضاً في توسيع نطاق تأثير الرياضة وتعزيز دورها كأداة دبلوماسية جديدة.

فضلاً عن ذلك فقد يعد الابتكار الرقمي والشراكة الدولية عاملين مهمين للحكومات والمنظمات الرياضية الدولية والتعاون لتعزيز مفهوم الدبلوماسية الرياضية بوجود عامل مساعد كالابتكار الرقمي الذي يشغل حيزاً مهماً في نجاح التجمعات الافتراضية والمنصات الرقمية والفعاليات الرياضية وتنظيمها وينظم إليها آلاف المتابعين من مختلف انحاء العالم.

يعتقد بعض الباحثين أنه إذا كانت الموارد الثقافية جزءاً من سياسة الجذب الجديدة أو الدبلوماسية الجديدة فيمكن فهم الأحداث الرياضية الضخمة كجزءٍ من إستراتيجية القوة الناعمة، يسلط تحليل أمثلة البلدان الضوء على فائدة القوة الناعمة كأداة واسعة النطاق لفهم دوافع الدول الناشئة لاستضافة الأحداث الرياضية الكبرى وعن طريق دراسة البرازيل لكأس العالم عام ٢٠١٤ وأولمبياد ٢٠١٦، والصين عام ٢٠٠٨، وكأس العالم عام ٢٠١٠ في جنوب إفريقيا يمكن النظر إلى استخدام القوة الناعمة على مستويات الاتصال والجذب ويتفحصون الطبيعة التأسيسية والتنفيذية والخطابية ودور الأحداث الرياضية الضخمة في العلاقات الدولية عن طريق استخدام نهج مرتكز على الدولة لاستكشاف إجراءات الدبلوماسية العامة.

وفي الختام تظل الرياضة وسيلة قوية وفعّالة لتجاوز الحواجز السياسية والثقافية وتقليل الفجوات بين المتخاصمين من خلال العمل بالشكل الناجع للدبلوماسية الرياضية، يمكن للعالم أن يجد أرضية مشتركة للتعاون والسلام، مما يعزز من التفاهم بين الشعوب ويسهم في بناء مستقبل أكثر استقرارًا، ومع استمرار التحديات العالمية، تظل الرياضة أداة لا غنى عنها في الجهود الدولية لتعزيز الحوار وحل النزاعات.

---

١. علي نجات، الدبلوماسية الرياضية القطرية والدروس المستفادة للعراق: ٣.
٢. ليلى نقولا، الدبلوماسية الرياضية: وداعاً للعالم القديم.
٣. ظ: كيف تسهم الرياضة في بناء القوة الناعمة للدول، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة.

مصطلحات سياسية

- **التصديق:** التصديق هو عملية النشر الرسمي للقوانين لتصبح سارية المفعول، وتبدأ باعتماد رئيس الدولة على القانون خلال مدة معينة من عرضه عليه يحددها الدستور ثم ينشر في الجريدة الرسمية ليكون ساري المفعول وليمكن تنفيذه وطاعة الشعب له، والتصديق على المعاهدات والاتفاقيات الدولية يكون من المجلس النيابي المنتخب أو المختار من قبل الشعب، والتصديق أحد الخطوات الهامة لإصدار القوانين وإقرار المعاهدات والاتفاقيات والبروتوكولات الدولية وتنفيذها، فهو جزء رئيس من التشريع.

- **تصويت:** وهو حق لكل مواطن أنّ يبدي رأيه لاختيار ممثليه في الانتخابات سواء أكانت برلمانية لاختيار نواب الشعب أو محلية أو نقابية، وتكون نتيجة التصويت اختيار الممثلين بدقة ليعبروا عن إرادة الشعب في المجالس المنتخبة كافة ويعطي المتخلفون عن الانتخابات شهادات التغيّب ومكان التصويت التفويضي وهو تفويض شخص للتصويت بدلاً من آخر أو بدلاً من عائلته وهو أسلوب غير قانوني ولكنه شائع في الانتخابات الروسية، وهناك التصويت المرَّجح وهو التصويت الذي يعطي لكل عضو وزناً نسبياً نظير قوة مساهمته في المنطقة أو بحسب أسهمه فيها، مثل التصويت في كل من البنك الدولي وصندوق النقد الذي يمنح عضو كل دولة وزناً يتناسب مع حجم إسهامها في رأس المال، مما جعل السيطرة على عملية صنع القرار فيهما يؤول إلى الدول الغنية الرأسمالية الكبرى في ظل غياب الدول الاشتراكية والشيوعية عن الانضمام لهما.

- **التضامنية المركزية :** هو وصف للعملية السياسية التي تعتمد على درجة الوحدة بين الدولة والمصالح، ولقد كان المصطلح يعني أن تبقى الصناعة مملوكة للقطاع الخاص ولكنها تخضع لسيطرة الدولة وتستخدم في خدمة المصالح القومية العليا.

- **التطهير السياسي :** التطهير السياسي يعني التصرف الحاد بما يؤدي إلى إزالة المنافس السياسي، وهذه الإزالة أو الإبعاد الجبري للخصم ظاهرة شيوعية وديكتاتورية تطبق على المعارضة وقد تكون بإصدار التشريعات لفقدان الخصوم الحقوق السياسية والدينية ومصادرة آرائهم وكتبهم وممتلكاتهم.

الشـرق والغـرب

مبـــادئ الديمقراطيـــة في
الفكـر السـياسي الغـــربي

الباحث المهندس سعد جابر
النجف الأشرف

مبادئ الديمقراطية في الفكر الغربي

الباحث المهندس سعد جابر
النجف الأشرف

على الرغم من اتفاق الباحثين والمختصين على أنّ مصطلح الديمقراطية أصله إغريقي وجاء من دمج كلمتي "ديموس" ومعناها الشعب "وكراتوسَ" ومعناها "حكم"- أي حكم الشعب- يبقى تعريف الديمقراطية بالمعنى الجامع المانع الذي يحتوي كل مفرداتها غير واضح، فمنهم من ينظر للديمقراطية على أنّها فلسفة ونظرية للحكم، وآخرون يرونها منهجاً تطبيقياً لآلية إدارة شؤون الدولة، ولكن يذكر الباحث يوروفسكي أستاذ التاريخ والسياسة العامة في جامعة كومنولث في الولايات المتحدة: أنّ أنسب تعريف للديمقراطية هو عبارة الرئيس الأمريكي السابق ابراهام لينكولن التي أطلقها عام ١٨٦٣: "حكومة من الشعب يختارها الشعب من أجل الشعب، يجب أنْ لا تزول من على وجه الأرض"[١]. ويبيّن الأستاذ يوروفسكي: إنَّ أهداف الديمقراطية يمكن جمعها في ثلاثة أمور: الأول: السلطة النهائية في يد الشعب، والثاني: على سلطات الحكم أنْ تبقى مقيدة والثالث على حقوق الأفراد أن تبقى مصانة. ويضيف يوروفسكي: أنه على الرغم من ذلك لا يمكن وضع نموذج واحد للديمقراطية في جميع بقاع العالم بل على كل بلدٍ أن يقيم حكماً ينبع من ثقافة تاريخه. على أية حال حاول يوروفسكي مع مجموعةٍ من الأساتذة المختصين وضع مبادئ أساسية للديمقراطية ينبغي أنْ تكون حاضرة بطريقة أو بأخرى في كلّ حكم ديمقراطي، وتوصلوا إلى إنَّ الأسس الجوهرية يمكن حصرها في أحد عشر مبدأ تتلخص بالآتي[٢]:

١- **الدستوريَّة أو حكم القانون:** وتعنى أنْ يكون لسلطة القيادات ومؤسسات الحكم حدود، وأن يكون فرض هذه الحدود ممكناً من خلال إجراءاتٍ قائمة بوصفها مجموعة من المبادئ الأساسية والقانونية. إنَّ الدستورية تعني حكماً مكرّساً في المقام الأول لخير المجتمع بأكمله ولصون حقوق الأفراد.

٢- **الانتخابات الديمقراطيّة:** الحكومات تستمد سلطاتها من رضا المحكومين، والانتخابات الحرة النزيهة ضرورية لضمان رضا المحكومين الذي يشكل أساس السياسة الديمقراطيّة.

٣- **الفيدراليّة:** هي نظام توزيع الصلاحيات بين حكومتين أو أكثر تمارسان السلطة على مجموعة الناس نفسها، وعلى الإقليم الجغرافيّ ذاته، وليست الفيدراليّة شرطاً لنجاح الديمقراطيّة ولكنها عنصر وقايةٍ مهم في البلدان الكبيرة المتنوعة السكان

٤- **سنّ القوانين:** إنّ صنع القوانين بطريقة ديمقراطية هي موافقة المحكومين وإشراك الشعب في مستويات وضع القوانين كافة، والأمر المهم في ذلك هو الشعور بالخضوع إلى محاسبة المواطنين وضرورة تلبية رغبات الشعب بسنّ القوانين التي فيها مصلحته، و إلا تواجه هيئات صنع القانون الهزيمة في الانتخابات المقبلة.

٥- **القضاء المستقل:** المحاكم شديدة التأثير في الأنظمة الديمقراطية، وتُعدُّ الوسيلة التي يتم بواسطتها تفسير التقييدات الدستورية وتطبيقها؛ لذلك بوسعها إعلان بطلان قرارات أو قوانين تصدر عن البرلمان باعتبارها مخالفةً للدستور، وكذلك هي المدافع الأكبر عن حقوق الإنسان، فإذا كانت الديمقراطية الحقيقية هي حكم الأغلبية فحماية حقوق الأفراد وتأمينها هي المهمة الأساس للنظام القضائي، وهذا لا يتحقق إلا باستقلال النظام القضائي.

٦- **صلاحيات الرئاسة:** في النظام الديمقراطي يتمكن الشعب من أن يمنح رئيساً متسلحاً بسلطة امتيازيةٍ كبيرةٍ من أنْ يُصبِحَ ديكتاتوراً من خلال المبادئ التالية: الفصل بين السلطات، وعدم ممارسة السلطة لفترةٍ طويلةٍ دون خضوعها لمراجعة تشريعيّةٍ أو قضائيّةٍ واعتماد الفيدراليّة، بحيث إنّه في حال فشل المؤسسات القوميّة يمكن للولايات أن تعمل، واعتماد الديمقراطيّة بحيث يظل الرئيس وحزبه مسؤولين أمام الناخبين خلال فترة محددة. إن السلطة الرئاسيّة إلى حدٍ كبيرٍ هي القدرة على إقناع مجلس النواب والشعب بدعم التغييرات المهمة في السياسة العامة.

٧- **دور وسائل الإعلام الحرة:** من أجل أنْ يعتبر أي مجتمع بأنه ديمقراطي حقاً عليه أن يؤمن بدرجة عالية من الحماية للتعبير عن الفكر المنشور، حيث يمكن لوسائل الإعلام التقصيّ عن أعمال الحكم ونشر أخباره دون خشية. وبذلك تعمل وسائل الإعلام كوكيل عن المواطن بحيث تنقل إليه المعلومات الخاصة عن برامج عمل الحكومة.

٨- **حق الشعب في أن يعرف:** على أعمال الحكم أنْ تكون شفافة قدر الإمكان أي إن المداولات والقرارات يجب أنْ تكون متاحةً لتدقيق الناس، ومن الواضح إنّه لا يجوز أن تكون كل أعمال الحكومة علنية، ولكن للمواطنين الحق في معرفة كيف تصرف أموال الضرائب التي تجبى منهم، وما إذا كانت المحاكم تتمتع بالكفاءة والفعالية، وما إذا كان المسؤولون المنتخبون يتصرفون بمسؤولية.

٩- **حماية حقوق الأقليات:** ما من مجتمع يمكنه أنْ يطمح لأنْ يُسمي نفسه مجتمعاً ديمقراطياً إذا كان يستثني بصورة منتظمة جماعاتٍ معينةً من سكانه من الحماية الكاملة للقوانين. والنظام الديمقراطي لا يجب عليه أنْ يسعى لحماية الأقليات من الاضطهاد فقط، بل عليه إعطاء الفرصة لهم للمشاركة في حياة المجتمع كمواطنين كاملي المواطنية ومتساوين مع غيرهم.

١٠- **السيطرة المدنية على المؤسسات العسكرية:** ينبغي أنْ لا تكون القوات العسكرية خاضعة لسيطرة السلطات المدنية فحسب، بل ينبغي أنْ تكون لديها أيضا ثقافة تؤكد أن دور القوات المسلحة هو

خدمة المجتمع لا حكمه.

١١- دور جماعات المصالح: من أجل أنْ يسمع الناخبون أصواتهم في صدد قضايا معينة ينشئ المواطنون مجموعات ضغط - أو لوبي باللغة الإنكليزية- للدفاع عن مصالح عامة أو خاصة وتعمل على تحقيقها ومنظمات غير حكومية تكرّس نفسها للعمل في سبيل قضية معينة، ويدّعي البعض أنّ تلك المجموعات من أصحاب المصالح التي لديها الكثير من المال يمكنها إسماع صوتها بصورة أفضل مما تستطيعه مجموعات مصالح أخرى محدودة الموارد، بعض هذا الانتقاد محق، ولكن الواقع هناك مئات من هذه المجموعات تساعد في توعية الناس وصانعي السياسة عن أمور معينة.

معالم الدساتير الحديثة في بلدان الديمقراطية:

تفخر البلدان المتقدمة بكونها راعية أنظمة الديمقراطية الحديثة، حيث تحتكم إلى الدساتير الموضوعة فيها في إدارة شؤون البلاد، وتضمن تحقيق المفاهيم الأساسية للديمقراطية الوارد ذكرها آنفاً. ويمكن تمييز مجموعةٍ من المعالم الرئيسة المشتركة بين هذه الدساتير يمكن إيجازها بالنقاط الآتية:

إن كانت تلك هي المعالم الدستورية المشتركة بين البلدان فهل هي من نتاجات البشرية الحديثة بعد أنْ خاضت الكثير من النزاعات فيما بينها ووُضعت العديد من النظريات لتحقيق رفاهية الانسان؟ لغرض الإجابة على ذلك سيتم استعراض تلك المعالم:

١- فصل السلطات.
٢- استقلال القضاء.
٣- اللامركزيّة في الحكم.
٤- التنمية الاقتصادية.
٥- مراعاة السلام والالتزام بالعهود الدولية.
٦- حرية العقيدة وحرية العبادة.
٧- حرية التعبير عن الرأي.
٨- المساواة أمام القانون.
٩- حق الحياة وحق الحرية.
١٠- حق التملك والملكية العامة.
١١- المتهم بريء حتى تثبت إدانته.
١٢- الضمان الاجتماعي.

فصل السلطات:

تبتني أغلب دساتير العالم الحديثة على تقسيم سلطات الدولة إلى ثلاث سلطات: تشريعية وتنفيذية وقضائية، ويَعُدُّ الباحثون في مجال الفكر السياسي أنْ الفرنسي مونتسكيو

والإنكليزي جون لوك هما أول من وضعا نظريةً واضحةً لمبدأ الفصل بين السلطات بالرغم من ورود هذا المعنى على لسان بعض الفلاسفة في أوقاتٍ سابقة، لقد ذكر جون لوك في كتابه عن الحكومة المدنية الصادر سنة ١٦٨٨ أن السلطة تنقسم على سلطة تشريعية تكون في يد ممثلي الشعب، وسلطة تنفيذية تنفذ القوانين وتُخضع الأفراد لطاعة الحكومة وسلطة فيدرالية تتكون ممن يعينهم الملك من ممثلي المقاطعات والمدن وهذه السلطات يجب أن تكون منفصلة عن بعضها. أما مونتسكيو فقد وضح المبدأ بشكلٍ كاملٍ في كتابه "روح القوانين" الصادر سنة ١٧٤٨ حيث قال: توجد في كل حكومة ثلاث سلطات سلطة تشريعية تنظر في المسائل المتعلقة بقانون الأمم وتضع القوانين الوقتية والدائمية وسلطة تنفيذية تنظر في المسائل المتعلقة بالقانون المدني وتعلن الحرب أو السلم وتصدر وتستورد، وسلطة قضائية تعاقب المجرمين وتفض المنازعات التي تقوم بين المواطنين. والمهم أن مونتسكيو أظهر خطورة تمركز هذه الوظائف في شخص واحد أو هيئة واحدة وذلك بقوله: عندما تجتمع في شخصٍ واحدٍ أو في هيئةٍ واحدةٍ من الحكام السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية لم يعد ثمة حرية[٣].

إنَّ انفصال السلطات في عرف مونتسكيو هو آمن وسيلةٍ للحيلولة دون أنْ يؤول شكل الحكومة إلى حكم الفرد حتى تدرك الدولة غرضها وهو ضمان الحرية. وينقل الفكيكي تعليق الأستاذ أحمد وفيق في كتابه "علم الدولة" على هذا الرأي بقوله: "لا مناص عندما تكون السلطات في أي دولةٍ مجتمعةٍ في يدٍ واحدةٍ سواء كان فرداً أم جماعة من أن تكون الحرية العامة في خطر، فإذا أردنا أن ندفع الاضطهاد والإرهاق عن عاتق الرعايا فقد وجب أن نرسم بقيام نظام للسلطات يؤدي إلى تعددها لتوزع عليها السيادة العامة توزيعاً تحدد معه قوة كل فرع فوق الفرع الآخر!![٤].

استقلال القضاء:

إنَّ السلطة القضائية منفصلة عن السلطات الأخرى لما لها من دورٍ مهمٍ في تفسير المواد الدستورية وفض النزاعات بين السلطات المختلفة، وهذه القاعدة هي من أهم القواعد الدستورية التي تناولها التشريع الحديث في هذا العصر لحماية المحاكم من التأثير والتدخل في شؤونها.

اللامركزية في الحكم والإدارة:

اللامركزيّة هي عملية توزيع الوظائف، والسلطات، والأشخاص أو الأشياء بعيداً عن موقعٍ مركزيٍّ أو سلطة.

ويذكر الباحث مصطفى النمر في دراسته المعنونة "اللامركزيّة في الحكم: المفاهيم

والأنماط" بأنه على الرغم من وجود تعريفاتٍ مختلفة للامركزيّة من حيث النظرية والتطبيق فإنها تعتبر الاستراتيجيّة الفاعلة في مجالات التنمية الإدارية[٤]. ويضيف النمر بأن الحديث عن التنمية في السنوات الأخيرة أدّى إلى النقاش المستمر حول فاعلية اللامركزيّة كشرط للوصولِ إلى التنمية المستدامة، وأيضا كمكونٍ رئيسٍ من مكونات الحكم الرشيد.

تؤكد الباحثة تسنيم عبد الرحيم المعنى نفسه في دراستها المقدمة إلى مؤسسة كارنيجي للمنح من أجل السلام العالمي: "تساهم المنظومة اللامركزيّة في تسهيل تطوير إجراءاتٍ واستخدامها لمراقبة الحكم المحلي، مثل إشراك المجتمع المدني في الاجتماعات، والانفتاح على وسائل الإعلام. في ظل النموذج اللامركزيّ، يصبح المواطنون المحرّك الأساس للتنمية المحلية، بدلاً من الحكومة المركزية التي تعطي الأولوية لمسائل أخرى، وغالب الظن أنها تتجاهل الطاقات المحلية"[٥].

يمكن تقسيم الأنماط التطبيقية للامركزيّة في الإدارة والحكم إلى أربعة أنواع سيتم استعراضها بشكلٍ موجز:

النمط الأول: هو استراتيجية عدم التكدس ويعرفها النمر بكونها: "نقل القوة العاملة من الحكومة المركزيّة أو القطاع المركزيّ من مقر الحكومة الرئيس في العاصمة إلى طاقم موظفين في مكاتب خارج حدود العاصمة مع عدم إعطاء السلطة لهؤلاء الموظفين في تقرير كيفية تنفيذ المهام".

النمط الثاني: هو استراتيجية التفويض ويعرفها النمر بأنها "نقل مسؤولية إدارة المهام واتخاذ القرار إلى مؤسساتٍ عامة شبه حكومية أو شبه مستقلةٍ لا تخضع بشكلٍ كاملٍ تحت سيطرة الحكومة لكنها تخضع للمحاسبة من قبل الحكومة بشكل رئيس".

النمط الثالث: هو استراتيجية نقل السلطة حيث تقوم فيها الحكومة كما يصفها النمر: "بنقل جانب من سلطة اتخاذ القرار والإدارة والتنفيذ والتمويل لمشاريع معينة أو برامج محددةٍ إلى وحدات شبه مستقلة للحكم المحلي ذات طابع مؤسّسي".

النمط الرابع: هو استراتيجية الخصخصة ويبيّن النمر بأنها توزيع أدوار ووظائف الحكومة ونقلها إلى منظمات تطوعيّة، أو السماح بإدارتها من قبل القطاع الخاص". وبهذا يتضح الاختلاف في تعريف اللامركزيّة في الحكم بين الباحثين كونها تعتمد على البيئة التي تُطبق فيها ونمط التطبيق.

من أشكال الحكم اللامركزيّ في الدساتير العالمية هو النظام الاتحادي "أو الفيدرالي" ويقصد به النظام السياسي الذي ينظم العلاقة بين طرفين أو أكثر قد يمثلون دولاً أو أقاليم متجاورةً أو تفصل بينها أقاليم أو موانع طبيعية.

ويعرفه آخرون بأنه نظام توزيع الصلاحيات بين حكومتين أو أكثر تمارسان

السلطة على مجموعة الناس نفسها وعلى الإقليم الجغرافي ذاته.

النظام الاتحادي يُطبق حالياً في ما يقارب من ٢٥ دولة في العالم يسكن فيها ٤٠٪ من مجموع سكان العالم تقريباً، وتتكون الأنظمة الاتحادية عن طريقين الأول: هو تحول دولة مركزية إلى دولة اتحادية كما حدث في بلجيكا عام ١٩٩٣، والثاني: هو اتحاد مناطق مختلفة لا تخضع لدولةٍ واحدةٍ بقرارٍ جماعيٍّ منها لتشكيل دولة اتحادية تحفظ مصالح الجميع كما حدث في الولايات المتحدة بعد استقلالها عن بريطانيا عام ١٧٧٦[٦].

النظام الاتحادي فيه حكومتان، حكومة مركزيّة تمارس صلاحيات معينة على جميع الأقاليم، وأخرى محليّة لكل إقليم تكون سلطتها محدودةً بحدوده الجغرافيّة، وغالباً ما يستخدم هذا النوع من الأنظمة في البلدان التي تحتوي على تنوع سكانيٍّ على أساس ديني أو عرقي أو ثقافي، ويُلجأ إليه لتكوين دولةٍ توّحد هذه المجاميع المختلفة وتحافظ على مصالحها المشتركة - أو الوطنية - مع إبقاء الخصوصية والحرية المناسبة لكل منها في إدارة شؤونها، وبالتالي منع استبداد فئةٍ دون أخرى واستئثارها بالسلطة واتخاذ القرار "لذلك تتكون السلطة التشريعية في غالبية الدول الاتحادية من مجلسين الأول: مجلس النواب الذي يتكون بالانتخاب المباشر فتعتمد نسب التمثيل فيه على عدد السكان في كل إقليم والثاني: مجلس آخر قد يسمى مجلس الشيوخ" أومجلس الأعيان كما في دستور العراق سنة ١٩٢٥-أو مجلس الاتحاد كما سمي في نص المادة (٦٣) من الدستور العراقي الحالي[٧] ويتم تكوينه بأسلوبٍ معينٍ بحيث يحافظ على نسب تمثيل متوازنة - كأن تكون متساويةً أو متقاربة- للأقاليم. تُتخذ القرارات بالتوافق بين هذين المجلسين وبذلك لا تتحكم الأقاليم الكبيرة أو الأكثرية في مجلس النواب بالأقاليم الصغيرة أو بالأقليات.

١- Melvin I. Urofsky, "The Root Principles of Democracy", United States Department of State, Office of International Information Programs, 2001

٢- الشيخ مصطفى ملص، في الدولة ووظائفها وفصل السلطات: رؤية قانونية إسلامية المؤتمر العالمي العاشر للوحدة الإسلامية المنعقد في طهران ١٩٩٧.

٣- توفيق الفكيكي، الراعي والرعية" ، مطبعة الغري ، النجف ، ١٩٣٩.

٤- الشيخ جعفر السبحاني، مفاهيم القرآن: الجزء الثاني، مؤسسة التاريخ العربي ، ٢٠١٠.

٥- https://www.merriam-webster.com/dictionary/decentralization

٦- د. مصطفى النمر، اللامركزية في الحكم: المفاهيم و الأنماط، المعهد المصري للدراسات ، تقارير سياسية، ٢٠١٧.

٧- تسنيم عبد الرحيم، اللامركزية في الحكم؟، مؤسسة كارنيجي للمنح من أجل السلام العالمي ، مقال منشور على الموقع https://carnegieendowment.org/sada/72650،2017.

ذاكرة الأُمم

- أثر ولاية الغديـــر في التطور التاريخي للفكـر السيـاسي الشيـعي

أ.م.د إسراء أمين عبد الله
جامعة الكوفة - كلية الآداب

- المخطوطات الإسلامية الإرث الثقافي للأمة

م.م تمـــار الشرماني
جامعة الكوفة - كلية الآداب

أثر ولاية الغدير في التطور التاريخي للفكر السياسي الشيعي

أ.م.د إسراء أمين عبد الله
جامعة الكوفة - كلية الآداب

تعدّ قضية الغدير على قدرٍ كبيرٍ من الأهمية عند الشيعة الإمامية الذين يتمسكون بها كأحد الأدلة القوية على إمامة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بنصٍّ من رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله عز وجل إذ جاء النص الإلهي يوم الغدير يؤكّد على الولاية، لكن بمعناها الأوسع والأشمل من ولاية شخص الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، اذ إنَّ ولاية يوم الغدير هي الولاية التي يتحقق بها الهدف النهائي من الدين والرسالة الخاتمة، أي: انتظام المجتمعات الإنسانية وكمالها وتطورها، وهو ما لا يكون دون والٍ يتابع الحكم والقيادة للمجتمع، وتحيط بحادثة الغدير عدَّة عوامل مجتمعية تُسهِم في بناء مفهوم السلطة، والتي تؤسس لسلطة قيادة المجتمع الإسلامي مع الفقيه الشيعي في عصر الغيبة.

تجتمع في حادثة الغدير عوامل عدة منها العامل البيئي، والجغرافي، والاجتماعي، والسياسي، والديني، والإعلامي، وتسهم هذه العوامل في بيان أهمية هذه الحادثة .

فالعامل البيئي والجغرافي له أثرٌ في هذه الحادثة، ويشير الباحثون الى التأثير الكبير للبيئة الجغرافية على الإنسان، وإنَّ عوامل الأرض والمناخ والموقع والموارد تدخلت في تشكيل شخصية الأفراد وثقافة المجتمعات، وقد أشار ابن خلدون إلى البيئة وأثرها في طبائع البشر إنَّ العوامل البيئية من طقس ومناخ وحرارة في تلك الحادثة ليست من العوامل التي يمكن نسيانها من قِبل مَن عاشها؛ فالحدث وقع في ذروة حرّ ظهيرة الصحراء القاحلة المعروفة بهجيرها ورمالها الملتهبة، فضلًا عما يعنيه التوقف بتلك الظروف من تعب مضاف إلى تعب مناسك الحج[1].

فغدير خم موقع بين مكة والمدينة المنورة في منطقة الجحفة حيث تقدر المصادر الجغرافية أنها تقع على بعد ١٩٠ كيلومتر شمال غرب مكة المكرمة[2]، إنّ منطقة غدير خم تتشعب عندها الطرق إلى المدينة والعراق ومصر واليمن، فأمر الرسول صلى الله عليه وآله المسلمين بالتوقف في تلك المنطقة

في السنة العاشرة للهجرة في السنة الأخيرة من عمره الشريف، إذ انتقل إلى المحل الأعلى بعدها بثلاثة أشهر فقط أثناء رجوعه من حجّته الأولى والأخيرة المسماة بحجَّة الوداع[٣].

وتدور العوامل الاجتماعية على كون شعيرة الحج مناسبة اجتماعية يتفاعل فيها البشر بمختلف صنوفهم وأعراقهم، فالحج أكبر تجمع بشري يتفاعل فيه المسلمون مع بعض.

مصادر تاريخية:

إنَّ حديث الغدير يستمد شرعيته من تواتره وصحة متنه وسنده في المصادر، وقد بيّن ذلك كثير من العلماء من الفريقين عبر التاريخ، ولعلَّ أبرزهم الشيخ الاميني (قدس سره) (ت:١٣٩٠هـ) في موسوعة الغدير الذي كتبها في (١١) مجلدًا، قدّم المؤلف في هذا الكتاب بحثاً جامعاً وكاملاً، وأثبت أنّ حديث الغدير أكثر الأحاديث تواترًا واعتبارًا، ولا يمكن لأحد إنكاره، حيث رواه ١١٠ من الصحابة و٨٤ من التابعين بطرق صحيحة، وذكر سلسلة رواته من زمن النبي ﷺ إلى علماء القرن الرابع عشر الهجري معتمداً على مصادر السنة[٥].

كما اقترن حديث الغدير، مع آية الولاية بالمعنى الذي يفيد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام، هو وليّ المؤمنين والمتصرّف بشؤونهم بعد رسول الله ﷺ، وهذا المعنى تبنّاه الشيعة، بينما اتّخذ أهل السنة معنى النصرة والصحبة والمحبة، وقد أجمع الشيعة على أنّ المقصود من الولاية في حديث الغدير هي بمعنى الإمامة، تمامًا كما تفيد الولاية المذكورة في آية الولاية بمعنى الإمامة، إنَّ المراد من الولاية اشتراط تبليغ الرسالة المحمدية الخاتمة، بما اكتنفته من أحداث ومصاعب على مدى ٢٣ سنة، على تبليغ الأمر المقصود في غدير خم، ﴿...**إِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**...﴾[المائدة: ٦٧]، مما يُظهر أهمية الأمر المبلّغ وخطورة عدم تبليغه.

حدث سياسي:

إنَّ حادثة الغدير حدث تاريخيٌّ سياسيٌّ بامتياز وفق مدلولاته في الفكر السياسي الشيعي، إذ عيّن رسول الله ﷺ في خطبته وليًّا يقود الأمة على المستوى الديني والسياسي، وقد أراد الرسول ﷺ بأمر من الله تعالى أن يحدّد طبيعة العلاقة بين الوليّ والناس، فهي علاقة ولائية قيادية تربط الحاكم الإمام بالمحكومين المأمومين، وأن ينظّم علاقة المجتمع الإسلامي بمفهوم القيادة والحاكمية الدينية والسياسية، اذ عندما أسس الرسول ﷺ دولة المدينة، كان يمثّل السلطة الدينية والسياسية في وقت واحد فكان المبلِّغ للوحي، والمفسّر له، والمشرّع للقوانين والأحكام، والحريص على تطبيق تلك القوانين والأحكام في عملية بناء المجتمع الإسلامي، بناءً على سلطته الدينية، كما كان صاحب سلطة سياسية وقيادية تمثّلت في إدارة شؤون المجتمع برمته، وإبرام معاهدات الصلح، وحماية المسلمين ضد الأخطار الخارجية المتمثلة بالمشركين، والداخلية المتمثلة بالمنافقين، والقيام بالعديد من الغزوات والمعارك.

لقد رسم النبيّ محمد ﷺ في صحيفة المدينة الإطار العام للحكم والإدارة في الدولة الجديدة من خلال المفاهيم الأساسية للانتظام

السياسي الاجتماعي الإسلامي في الصدر الأول للإسلام[٥]، من قبيل الهجرة، المؤاخاة، الأمة، القيادة والرئاسة، المرجعية، الأمن، المواطنية، أرض الدولة وحدودها والسيادة، الفكرة الأيديولوجية، وغيرها.

وما جرى يوم الغدير من تعيين الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام وليًّا على المؤمنين ليس إلّا من باب تطبيق حكم الله تعالى، فذلك أمره تعالى: ﴿**بلّغ**﴾، ومن باب حماية المجتمع الإسلامي الذي عمل على بنائه طوال سني حياته الشريفة من خطر اندثار الدين الذي لا بد أنَّ يطال المجتمع إذا ما تركت الرعية دون راع، وذلك قوله تعالى: ﴿**فما بلّغت رسالته**﴾. إن مهام التبليغ الذي يتوقف عليه تبليغ رسالة الله تعالى الخاتمة لا بد وأنها مهام على قدر كبير من الأهمية، وفيها مسؤولية عظيمة. وبالتالي، تفيد آية التبليغ في مورد الأمر الإلهي بالولاية يوم الغدير على عظم قدر الولاية وأهميتها التي تفوق معنى الحب والتقدير.

بين الغدير والسقيفة:

إنَّ الولاية بالمعنى الذي يقبله الشيعة هي السلطة المنصوص عليها من الله تعالى على لسان نبيه الخاتم للإمام علي بن أبي طالب والأئمة من ولده عليهم السلام من بعده بالنص الإلهي، إنَّ يوم الغدير، يوم التنصيب الإلهي بحسب مفهوم الشيعة، هو اليوم الفصل لمعنى الإمامة والمراد من سلطتها، وقد سبقت حادثة الغدير حادثة السقيفة، الأولى تحدّد أهمية دور القيادة، وتعيّن شخص القيادة، وشكل الحكم الإسلامي، لكن الثانية هي رفض للتعيين السابق عند الاستحقاق بموت رسول الله ﷺ وحتمية وجود الخلف، أي: أن يوم السقيفة هو يوم نقض فيه المخالفون المراد ليوم الغدير.

إنَّ معنى الإمامة المستفاد من نص الغدير يسري إلى عصر الغيبة؛ لما في النص من إطلاق لفظي ومعنوي، واستدلال عقلي، إنّ الرسول ﷺ هو النبي الخاتم الذي يتولّاه كلُّ مؤمن ومؤمنة حتى قيام الساعة مرورًا بعصر الغيبة، وما كان للنبي كان للإمام بمقتضى التبليغ يوم الغدير، فالقول بانتفاء التولّي في عصر الغيبة يلازمه القول بعبثية التبليغ مع الإطلاق فيه، الأمر الذي يتناقض مع الدستور القرآني: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾[النجم: ٣]، وإن مهام الولاية في عصر الغيبة، بالدليل العقلي، من نصيب حَمَلة نهج الإمامة، العلماء الفقهاء، إضافة إلى أدلة شرعية هي خارج موضوع البحث.

والشاهد هنا أنّ سلطة الغدير تعبّر عن سلطة تأسيسية لسلطة الحكم في الإسلام، وإذا كان النبي ﷺ قد أرسى معالم الحكومة الإسلامية في المدينة أثناء حياته الشريفة، فإنّه حدّد قوام الحكم الإسلامي في غيبته، ولم يترك الأمة إلاَّ وقد تمّ التبليغ بأركان الإسلام كافة، فكانت الولاية كمال الدين وتمام نعمة الله على خلقه، وقد أدى هذا الوعي السياسي الديني بمفهوم الولاية في الفكر السياسي الشيعي إلى تطوّر مفهوم السلطة.

---

١. عبد الهادي الفضلي، غدير خم دراسة تاريخية وتحقيق ميداني www.fajerweb.org
٢. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٢/ ٣٨٩.
٣. ابن هشام ، السيرة النبوية: ٢/ ٦٠٣.
٤. عبد الحسين الاميني،الغدير في الكتاب والسنة.
٥. ابن هشام ، السيرة النبوية: ١/ ٥٠١.

المخطوطات الإسلاميــة

الإرث الثقافي للأمة

م.م تمـــار الشرماني
جـــامعة الكـــوفة _ كليــة الآداب

تعد المخطوطات كنوزاً ثمينة فهي تكشف عن علم السابقين وجهودهم في شتى العلوم من اجتهاد، تحليل، تأليف، وترجمة، وهذا يعد ثروة هائلة في تاريخ المسلمين ولكن بعض هذا التراث اندثر لأسباب عدة منها الحروب والفتن والحرائق، وتقدر عدد المخطوطات العربية بأكثر من ثلاث ملايين مخطوطة منتشرة في مكتبات العالم الإسلامي والغربي، ومن هذا المنطلق لابد من الإشارة الى تعريف المخطوطات لغةً واصطلاحاً.

المخطوط لغة: تعود كلمة مخطوطة الى خطط، أي خط الكتاب يخطه، (ولا تخطه بيمينك) وكتاب مخطوط، كتاب مكتوب، فالمخطوط لغة : مأخوذ من خط بالقلم، خط الشيء يخطه خطا كتبه بقلم او بغيره، أي كتاب مكتوب بخط اليد، أي كتب وصور الحرف بالحروف الهجائية بدلا من طباعتها بالمطبعة، سواء كان ما يكتب على أوراق البردي أو غيرها من الرقوق أو الورق العادي.

اما المخطوط اصطلاحاً: هو الكتاب المكتوب بخط اليد لتمييزه عن الخطاب أو الورقة أو أيّة وثيقةٍ أخرى، خاصة تلك الكتب التي كتبت قبل عصر الطباعة، ويشتمل هذا التعريف على عناصر اساسية وهي:

١- أنْ يكون المخطوط كتاباً، أي أنَّ الرسائل والوثائق والعهود والنقوش والمواثيق والمدونات الموسيقية خارجة عن إطار هذا التعريف.

٢- أنْ يكون الكتاب مخطوطا، أي ان النسخ المرقونة على الآلة الكاتبة والنسخ المصورة أو أي مصغر فيلمي هي خارجة عن حدود هذا التعريف.

٣- أنْ يكون قد كتب قبل عصر الطباعة مع اختلاف انتشار الطباعة من قطر الى آخر، ومن عصر إلى آخر أي أنْ النسخ المخطوطة بعد انتشار الطباعة خارجة عن إطار هذا التعريف، ويمكن أنْ نطلق عليها المخطوطات الحديثة لتمييزها عن المخطوطات العربية القديمة.

٤- أنْ يكون الكتاب مخطوطاً بخطٍ عربي بصرف النظر عن مكان النسخ عربياً كان أم غير ذلك، أو يعرف على أنه النسخة الاصلية التي كتبها المؤلف بخط يده أو سمح بكتابتها او قرأها او نسخها الورّاقون بعد ذلك في نسخ أخرى منقولةٍ عن الأصل أو على نسخ أخرى غير الأصل، وهكذا نقول عن كل نسخة منقولة بخط اليد عن أية مخطوطة بأنها مخطوطة مثلها[1].

وقد ظهرت لفظة مخطوط مع ظهور الطباعة حجرية كانت او سلكية، وقد أطلق العرب على الكتاب المخطوط تسميات مختلفة تختلف باختلاف العصور، فقد أطلقوا عليه في القرن الأول الهجري الرقيم، الزبور، المصحف، السفر، الرسالة، الكراسة، الجلد، الجزء، المجلدة، الكناش، الدفتر وغيرها، وقد

أطلق على الكتاب في عصر التدوين والتأليف الديوان أو المدون والتأليف أو المؤلف والتصنيف أو المصنف، وابتداءً من القرن الرابع للهجرة حين اكتملت النهضة العلمية والتأليفية في المجتمع العربي أصبح يطلق على مصادر التراث تسميات مثل كتب الأصول، الكتب الأمهات، الكتب الأساسية، لما تحويه من أساسيات العلم بالإضافة إلى استعمال مصطلحات مثل التقييد، الفهرسة، الكشكول وغيرها كثير، وإذا كان ظهور لفظٍ مخطوطٍ مرتبطاً بصناعة المطبوع في التراث العربي فإننا نشير إلى أنّ المغاربة استخدموا عبارة (نسخة قلمية في مقابل كتاب مطبوع قبل أنْ يجاروا المشارقة الى استعمال لفظ مخطوط[٢].

وتستعمل كلمة مخطوطة في النشر الأكاديمي والسياقات للتعبير عن النص المقدم إلى ناشر أو مطبعة ويكون النص في طور الإعداد لنشر النسخة المطبوعة عادة بوصفها تعد مخطوطة بيد كاتبها، أو قد تعبر المخطوطة عن الجزء المؤلف من القانون الجنائي، الذي أعدّ في شكل مخطوط.

والمخطوط يختلف حجمه فأحيانا يكون كتاباً ضخماً وأحياناً يكون كتاباً صغيراً أو قد يكون رسالة صغيرة او صحيفة واحدة، كما يتباين المخطوط من حيث تاريخه وورقه وخطوطه ودقة نسخه، من هنا فإنّ المخطوط هو كتابٌ جمع بين صفحاته نتاجاً فكرياً في موضوع معين من موضوعات العلم والمعرفة او في موضوعاتٍ متعددةٍ ومختلفة وكتبت مواده بخط اليد[٣].

أدوات المخطوطات:

إن المواد التي كتبت عليها المخطوطات عبر العصور التاريخية المتعاقبة كانت متعددةً ومتنوعةً **المخطوط لغة:** تعود كلمة مخطوطة الى خطط، أي خط الكتاب يخطه، (ولا تخطه بيمينك) وكتاب مخطوط، كتاب مكتوب، فالمخطوط لغة : مأخوذ من خط بالقلم، خط الشيء يخطه خطا كتبه بقلم او بغيره، أي كتاب مكتوب بخط اليد، أي كتب وصور الحرف بالحروف الهجائية بدلا من طباعتها بالمطبعة، سواء كان ما يكتب على أوراق البردي أو غيرها من الرقوق أو الورق العادي.

اما المخطوط اصطلاحاً: هو الكتاب المكتوب بخط اليد لتمييزه عن الخطاب أو الورقة أو أيّة وثيقةٍ أخرى، خاصة تلك الكتب التي كتبت قبل عصر الطباعة، ويشتمل هذا التعريف على عناصر اساسية وهي:

١- أنْ يكون المخطوط كتاباً، أي أنَّ الرسائل والوثائق والعهود والنقوش والمواثيق والمدونات الموسيقية خارجة عن إطار هذا التعريف.

٢- أنْ يكون الكتاب مخطوطا، أي ان النسخ المرقونة على الآلة الكاتبة والنسخ المصورة أو أي مصغر فيلمي هي خارجة عن حدود هذا التعريف.

٣- أنْ يكون قد كتب قبل عصر الطباعة مع اختلاف انتشار الطباعة من قطر الى آخر، ومن عصر إلى آخر أي أنْ النسخ المخطوطة بعد انتشار الطباعة خارجة عن إطار هذا التعريف، ويمكن أنْ نطلق عليها المخطوطات الحديثة لتمييزها عن المخطوطات العربية القديمة.

٤- أنْ يكون الكتاب مخطوطاً بخطٍ عربي بصرف النظر عن مكان النسخ عربياً كان أم غير ذلك، أو يعرف على أنه النسخة الاصلية التي كتبها المؤلف بخط يده أو سمح بكتابتها او قرأها او نسخها الورّاقون بعد ذلك في نسخ أخرى منقولةٍ عن الأصل أو على نسخ أخرى غير الأصل، وهكذا نقول عن كل نسخة منقولة بخط اليد عن أية مخطوطة بأنها مخطوطة مثلها[١].

وقد ظهرت لفظة مخطوط مع ظهور الطباعة حجرية كانت او سلكية، وقد أطلق العرب على الكتاب المخطوط تسميات مختلفة تختلف باختلاف العصور، فقد أطلقوا عليه في القرن الأول الهجري الرقيم، الزبور، المصحف، السفر، الرسالة، الكراسة، الجلد، الجزء، المجلدة، الكناش، الدفتر وغيرها، وقد أطلق على الكتاب في عصر التدوين والتأليف الديوان أو المدون والتأليف أو المؤلف والتصنيف أو المصنف، وابتداءً من القرن الرابع للهجرة حين اكتملت النهضة العلمية والتأليفية في المجتمع العربي أصبح يطلق على مصادر التراث تسميات مثل كتب الأصول، الكتب الأمهات، الكتب الأساسية، لما تحويه من أساسيات العلم بالإضافة إلى استعمال مصطلحات مثل التقييد، الفهرسة، الكشكول وغيرها كثير، وإذا كان ظهور لفظٍ مخطوطٍ مرتبطاً بصناعة المطبوع في التراث العربي فإننا نشير إلى أنّ المغاربة استخدموا عبارة (نسخة قلمية في مقابل كتاب مطبوع قبل أنْ يجاروا المشارقة الى استعمال لفظ مخطوط[٢].

وتستعمل كلمة مخطوطة في النشر الأكاديمي والسياقات للتعبير عن النص المقدم إلى ناشر أو مطبعة ويكون النص في طور الإعداد لنشر النسخة المطبوعة عادة بوصفها تعد مخطوطة بيد كاتبها، أو قد تعبر المخطوطة عن الجزء المؤلف من القانون الجنائي، الذي أعدّ في شكل مخطوط.

والمخطوط يختلف حجمه فأحيانا يكون كتاباً ضخماً وأحياناً يكون كتاباً صغيراً أو قد يكون رسالة صغيرة او صحيفة واحدة، كما يتباين المخطوط من حيث تاريخه وورقه وخطوطه ودقة نسخه، من هنا فإنّ المخطوط هو كتابٌ جمع بين صفحاته نتاجاً فكرياً في موضوع معين من موضوعات العلم والمعرفة او في موضوعاتٍ متعددةٍ ومختلفة وكتبت مواده بخط اليد[٣].

أدوات المخطوطات:

إن المواد التي كتبت عليها المخطوطات عبر العصور التاريخية المتعاقبة كانت متعددةً ومتنوعةً في موضوعاتها العلمية والفكرية التي ما تزال تحتفظ بالكثير منها المكتبات العربية والعالمية، وتفيد الباحث والمحقق في معرفة الزمن الذي كتبت فيه، وبظهور صناعة الورق في افاق الحياة العربية دخل المخطوط العربي مرحلة جديدة من مراحل نموه وتطوره تميزت بكثرة الانتاج ووفرته، ومن أهم هذه الأدوات:

١- الرق:

استخدمت الأنواع المختلفة من جلود الأنعام المدبوغة في الكتابة في الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده، حيث سُمِّيت الجلود المستخدمة في الكتابة الأديم أو الرق وهي مصنوعة من جلود البقر والإبل والغنم والحمر الوحشية والغزلان، وتُدْبَغ هذه الجلود وتُرَقَّق لتصبح ناعمة رقيقة ملساء يمكن الكتابة على وجهيها، وقد اشتهر رَقَّ الغزال في كتابة المصاحف، كما استعمل الرّق الأبيض والأحمر والأزرق وأفضلها الرق الأبيض

يشغل الرق حتى وقت ظهور الورق (الكاغد) بشكل مطلق مكاناً متميزاً في صناعة الكتاب العربي المخطوط، ونظراً لندرة الرقوق وغلاء ثمنها كان يجدد استخدامها بالطلس واعادة الكتابة عليها أكثر من مرة، ووصلت الينا نماذج من ذلك، وجاء التحول لاستخدام الورق في المغرب الاسلامي متأخراً حيث ظلّ الرق هو المادة المستخدمة في الكتابة حتى القرن الخامس الهجري، بل إنّ المصاحف المغربية ظلت حتى وقتٍ قريبٍ تكتب على الرق طلباً لطول البقاء، وبدأ الورق الأوربي ذو العلامة المائية في الظهور بعد عام ١٥٥٠م، واستخدم في كتابة المخطوطات العربية بعد ذلك بوقت قريب.

٢- الورق:

ظلت صناعة الـــورق البردي في الدولـــة الاسلامية صناعة مصرية خالصة طوال القرن الأول واوائل القرن الثاني للهجرة حتى اخذ الـــورق الصيني (الكاغد مكانـــــه الى جانبه، واستخدم الورق (الكاغد) في مصر بطرق متقطعة في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، ولكنه لم يعتبر منافسا للبردي، حتى أواسط القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي عندما حل محل البردي وبدأت مطابع الورق في الظهور وتوقف انتاج البردي، وصل إلينا على البردي جزء من كتاب الجامع في الحديث النبوي لعبد الله بن وهب (تـ ١٧٩هـ)، كشف عنه عام ١٩٢٢م، في حفائر كان يجريها المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة في إدفو بصعيد مصر، وهو اليوم محفوظ في دار الكتب المصرية، بالإضافة إلى الآلاف من الأوراق واللفائف ذات الطابع الإداري والشخصي، ان استخدام الورق في الكتابة والتدوين ساعد على تطور صناعة المخطوطات في العالم الإسلامي. ويعود الفضل في اختراع مادة الورق إلى الصينيين الذين أنتجوه في القرن الأول الميلادي، مستخدمين **المخطوط لغة:** تعود كلمة مخطوطة الى خطط، أي خط الكتاب يخطه، (ولا تخطه بيمينك) وكتاب مخطوط، كتاب مكتوب، فالمخطوط لغة : مأخوذ من خط بالقلم، خط الشيء يخطه خطا كتبه بقلم او بغيره، أي كتاب مكتوب بخط اليد، أي كتب وصور الحرف بالحروف الهجائية بدلا من طباعتها بالمطبعة، سواء كان ما يكتب على أوراق البردي أو غيرها من الرقوق أو الورق العادي.

اما المخطوط اصطلاحاً: هو الكتاب المكتوب بخط اليد لتمييزه عن الخطاب أو الورقة أو أيّة وثيقةٍ أخرى، خاصة تلك الكتب التي كتبت قبل عصر الطباعة، ويشتمل هذا التعريف على عناصر اساسية وهي:

١- أنْ يكون المخطوط كتاباً، أي أنَّ الرسائل والوثائق والعهود والنقوش والمواثيق والمدونات الموسيقية خارجة عن إطار هذا التعريف.

٢- أنْ يكون الكتاب مخطوطا، أي ان النسخ المرقونة على الآلة الكاتبة والنسخ المصورة أو أي مصغر فيلمي هي خارجة عن حدود هذا التعريف.

٣- أنْ يكون قد كتب قبل عصر الطباعة مع اختلاف انتشار الطباعة من قطر الى آخر، ومن عصر إلى آخر أي أنْ النسخ المخطوطة بعد انتشار الطباعة خارجة عن إطار هذا التعريف، ويمكن أنْ نطلق عليها المخطوطات الحديثة لتمييزها عن المخطوطات العربية القديمة.

٤- أنْ يكون الكتاب مخطوطاً بخطٍ عربي بصرف النظر عن مكان النسخ عربياً كان أم غير ذلك، أو يعرف على أنه النسخة الاصلية التي كتبها المؤلف بخط يده أو سمح بكتابتها او قرأها او نسخها الورّاقون بعد ذلك في نسخ أخرى منقولةٍ عن الأصل أو على نسخ أخرى غير الأصل، وهكذا نقول عن كل نسخة منقولة بخط اليد عن أية مخطوطة بأنها مخطوطة مثلها[١].

وقد ظهرت لفظة مخطوط مع ظهور الطباعة حجرية كانت او سلكية، وقد أطلق العرب على الكتاب المخطوط تسميات مختلفة تختلف باختلاف العصور، فقد أطلقوا عليه في القرن الأول الهجري الرقيم، الزبور، المصحف، السفر، الرسالة، الكراسة،

الجلد، الجزء، المجلدة، الكناش، الدفتر وغيرها، وقد أطلق على الكتاب في عصر التدوين والتأليف الديوان أو المدون والتأليف أو المؤلف والتصنيف أو المصنف، وابتداءً من القرن الرابع للهجرة حين اكتملت النهضة العلمية والتأليفية في المجتمع العربي أصبح يطلق على مصادر التراث تسميات مثل كتب الأصول، الكتب الأمهات، الكتب الأساسية، لما تحويه من أساسيات العلم بالإضافة إلى استعمال مصطلحات مثل التقييد، الفهرسة، الكشكول وغيرها كثير، وإذا كان ظهور لفظٍ مخطوطٍ مرتبطاً بصناعة المطبوع في التراث العربي فإننا نشير إلى أنّ المغاربة استخدموا عبارة (نسخة قلمية في مقابل كتاب مطبوع قبل أنْ يجاروا المشارقة الى استعمال لفظ مخطوط[٢].

وتستعمل كلمة مخطوطة في النشر الأكاديمي والسياقات للتعبير عن النص المقدم إلى ناشر أو مطبعة ويكون النص في طور الإعداد لنشر النسخة المطبوعة عادة بوصفها تعد مخطوطة بيد كاتبها، أو قد تعبر المخطوطة عن الجزء المؤلف من القانون الجنائي، الذي أعدّ في شكل مخطوط.

والمخطوط يختلف حجمه فأحيانا يكون كتاباً ضخماً وأحياناً يكون كتاباً صغيراً أو قد يكون رسالة صغيرة او صحيفة واحدة، كما يتباين المخطوط من حيث تاريخه وورقه وخطوطه ودقة نسخه، من هنا فإنّ المخطوط هو كتابٌ جمع بين صفحاته نتاجاً فكرياً في موضوع معين من موضوعات العلم والمعرفة او في موضوعاتٍ متعددةٍ ومختلفة وكتبت مواده بخط اليد[٣].

أدوات المخطوطات:

إن المواد التي كتبت عليها المخطوطات عبر العصور التاريخية المتعاقبة كانت متعددةً ومتنوعةً في موضوعاتها العلمية والفكرية التي ما تزال تحتفظ بالكثير منها المكتبات العربية والعالمية، وتفيد الباحث والمحقق في معرفة الزمن الذي كتبت فيه، وبظهور صناعة الورق في افاق الحياة العربية دخل المخطوط العربي مرحلة جديدة من مراحل نموه وتطوره تميزت بكثرة الانتاج ووفرته، ومن أهم هذه الأدوات:

١- الرق:

استخدمت الأنواع المختلفة من جلود الأنعام المدبوغة في الكتابة في الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده، حيث سُمِّيت الجلود المستخدمة في الكتابة الأديم أو الرق وهي مصنوعة من جلود البقر والإبل والغنم والحمر الوحشية والغزلان، وتُدْبَغ هذه الجلود وتُرَقَّق لتصبح ناعمة رقيقة ملساء يمكن الكتابة على وجهيها، وقد اشتهر رَقّ الغزال في كتابة المصاحف، كما استعمل الرّق الأبيض والأحمر والأزرق وأفضلها الرق الأبيض يشغل الرق حتى وقت ظهور الورق (الكاغد) بشكل مطلق مكاناً متميزاً في صناعة الكتاب العربي المخطوط، ونظراً لندرة الرقوق وغلاء ثمنها كان يجدد استخدامها بالطلس واعادة الكتابة عليها أكثر من مرة، ووصلت الينا نماذج من ذلك، وجاء التحول لاستخدام الورق في المغرب الاسلامي متأخراً حيث ظلّ الرق هو المادة المستخدمة في الكتابة حتى القرن الخامس الهجري، بل إنّ المصاحف المغربية ظلت حتى وقتٍ قريبٍ تكتب على الرق طلباً لطول البقاء، وبدأ الورق الأوربي ذو العلامة المائية في الظهور بعد عام ١٥٥٠م، واستخدم في كتابة المخطوطات العربية بعد ذلك بوقت قريب.

٢- الورق:

ظلت صناعة الورق البردي في الدولة الاسلامية صناعة مصرية خالصة طوال القرن الأول واوائل القرن الثاني للهجرة حتى اخذ الورق الصيني (الكاغد مكانه الى جانبه، واستخدم الورق (الكاغد) في مصر بطرق متقطعة في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، ولكنه لم يعتبر منافسا للبردي، حتى أواسط القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي

عندما حل محل البردي وبدأت مطابع الورق في الظهور وتوقف انتاج البردي، وصل إلينا على البردي جزء من كتاب الجامع في الحديث النبوي لعبد الله بن وهب (تـ ١٧٩هـ)، كشف عنه عام ١٩٢٢م، في حفائر كان يجريها المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة في إدفو بصعيد مصر، وهو اليوم محفوظ في دار الكتب المصرية، بالإضافة إلى الآلاف من الأوراق واللفائف ذات الطابع الإداري والشخصي، ان استخدام الورق في الكتابة والتدوين ساعد على تطور صناعة المخطوطات في العالم الإسلامي. ويعود الفضل في اختراع مادة الورق إلى الصينيين الذين أنتجوه في القرن الأول الميلادي، مستخدمين في صناعته سيقان نبات الخيزران (البامبو) المجوفة والخرق البالية أو شباك الصيد، حيث كانت تُغسل هذه المواد جيدًا ثم تُطحن في مطاحن خاصة حتى تتحوّل إلى عجينة طرية، ثم تُضاف إليها كمية من الماء حتى تصبح شبيهة بسائل الصابون، وبعد عمليات تصفية دقيقة تؤخذ الألياف المتماسكة بعناية لتنشر فوق ألواح مسطحة لتجفف بوساطة حرارة الشمس، وبعد ذلك تصقل صحائف الورق بوساطة خليط من النشا والدقيق، وتجفف من جديد لتصبح بعد ذلك جاهزة للاستخدام[٤].

وقد نقل المسلمون صناعة الورق عن الصينيين، وذلك عندما تمكن المسلمون من الاستيلاء على سمرقند عام ٧٥١م واستبقوا عددًا من أهل الصين من صناع الورق الذين قاموا بإطلاع العرب على أسرار صناعته. ومنذ ذلك الوقت أدخلت صناعة الورق إلى بغداد ومنها انتقلت إلى سوريا ومصر والمغرب العربي ثم إلى الأندلس التي كان لها الفضل الأول في نشر صناعة الورق في أوروبا، وتطورت صناعة الورق في إيران بشكل أكبر عن مثيلتها في الأقطار الإسلامية الأخرى، حيث استطاع الإيرانيون في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي أن يصنعوا ورقا فاخرًا من الحرير والكتان، كما عنوا بضغطه وإكسابه بعض الألوان وتلميعه، ليليق بتدوين دواوين الشعر التي كانت تكتب عليه بالخطوط الجميلة، وتذهب بالصورة الملونة، التي كانت تحلى بها المخطوطات. وتشهد مجموعة المخطوطات الفنية التي أنتجت في إيران وتركيا والهند والعراق ومصر على ما وصلت إليه الفنون الإسلامية من تطور في التصميم، ودقة في التنفيذ، وروعة في التلوين.

٣- القلم:

من أهم أدوات المخطوط القلم الذي عرف العرب منه أنواعًا كثيرة منها قلم السعف، وقلم العاج، وقلم القصب، والريشة المعدنية وأفضلها وأكثرها شهرة القلم المصنوع من القصب، وذلك لسهولة بري ريشته لتكون ذات سماكة معينة مسطحة الوجه، وذات شقٍ في الوسط لتسمح بانتقال الحبر من القلم إلى الورق مباشره.

٤- المداد:

صنع العرب المداد من الدخان والعفص شجر البلوط والصمغ، وقد استعمل حبر الدخان للكتابة على الورق بينما استخدم الحبر الصيني للكتابة على الرقوق وقد نجح العرب المسلمون منذ العصر العباسي في ابتكار أنواع كثيرة من الأحبار تتناسب مع طبيعة المخطوطات والأوراق المستخدمة في ذلك الوقت.

٥- الألوان:

استخدمت الألوان الزاهية في تحلية المخطوطات الإسلامية، وصنع العرب الألوان من مواد مختلفة منها ما هو مصنوع من مصادر نباتية كالحنّاء والبن والأرز والورد والأزهار، ومنها ما هو مصنوع من الأحجار الكريمة. وتتميز الألوان المستخرجة من مساحيق الأحجار بأنها ألوان ثابتة لا تتغير بعامل

الزمن، وكانت مساحيق هذه الأحجار تُخلط بالصمغ والمـــاء المستخلص من الورد. ومن أهم الألوان التي كانت تستخرج من مساحيق الأحجار اللونان الأخضر والأزرق اللذان كانـــا يستخرجان من أحجار الفيروز النفيسة. أما المصدر الثالث لصناعة الألوان فهو الأتربة بعد أن تنخل وتُصفى وتسحق لتصبح كالكحل ثم تخلط بالصمغ والماء حتى تصبح جاهزة لتحلية صفحات المخطوطات.

٦- التذهيب:

وهناك نوعان رئيسان في تذهيب المخطوطات هما المطفي واللماع أولهما يتم بلصق الأوراق الذهبية الرقيقة في مواضع التحلية والثاني عن طريق التلوين المباشر بماء الذهب وهو من الأساليب الفنية التي ارتبطت بفنون الكتاب، وازدهرت في أقطار العالم الإسلامي، فن تزيين المخطوطات بتذهيب بعض صفحاتها أو بتذهيبها كلها. والمعـــروف أن الخطاط كان يتم كتابة المخطوط تاركًا فيه الفراغ الذي يُطلب منه في بعض الصفحات لترسم فيه الأشكال النباتية والهندسية المذهبة، أو تنقش فيه صور ذات صلة معينة بالمخطوط، وقد لا يكون لبعضها أي صلة قريبة، فيكون الغرض من رسمها تجميل المخطوط فحسب. ويكثر في مثل هذه الأحوال أن تكون الصورة منقولة عن مخطوط آخر. وكان تذهيب المخطوطات يمر بعدة مراحل، أولها يسند إلى فنان اختصاصي في رسم الهوامش وتزيينها بالزخارف، ثم ينتقل المخطوط إلى فنان آخر يقوم بتذهيب هوامشه وصفحاته الأولى، وكذلك صفحاته الأخيرة، وبداية فصوله وعناوينه. وكانت الرســـوم النباتية والهندسية المذهبة في المخطوطات تصل إلى أبعد حدود الإتقان، ولاسيما في القرنين التاسع والعاشر الهجريين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين حين بلغت الغاية في الاتزان والدقة وتوافق الألوان. أعظم المخطوطات القديمة شأنا من الناحية الفنية هي مخطوطات المصاحف التي كانت تذهب وتزين بأدق الرسوم وأبدعها، وكان تعظيم القرآن الكريم يدفع كثيرًا من الفنانين إلى العناية بتذهيب المصاحف[٥].

وأقبل بعض الأمراء والعلماء وكبار رجال الدين والأدب على تعلم فن التذهيب وكانت لمساعدتهم المادية والمعنوية للمذهبين أكبر الأثر في إخراج أعظم مخطوطات المصاحف.

تراث الأُمم:

اهتم العرب منذ العصور الإسلامية الأولى بالمخطوطات وخاصة في العصر العبـــاسي إذ ازدهرت فيه حركة الترجمة والتأليف وأقبل الناس على شراء الكتب واقتنائها والعناية بها، واعتنى المسلمون بالمخطوطات عناية كبيرة كونها السبيل للحفاظ على مـــا انتجه العقل العربي الإسلامي من رسائل موضوعهـــا كتاب الله الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، وان ثروة الامة الإسلامية من المخطوطات هي أعظم ما خلفته الأجيال الماضية فهي مؤلفات وضع فيها العلماء خلاصة أفكارهم وتجاربهم فكانت هذه المخطوطات اساساً للحضارة الحديثة والعلوم المعاصرة المتطورة[٦].

كانت بداية ظهور المخطوطات عندما بدأ الإنسان القديم الرسم على جدران الكهوف وكذلك عرف الانسان النار وكيف يستعمل ما تبقى من رماد الخشب في الكتابة، وكان المصريون اول من كتبوا بالأحبار الكاربونية على ورق البردي، ومن اهم المخطوطات التي ظهرت في العصر الإسلامي هي رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك والحكام وأصبحت هذه المخطوطات فيما بعد المادة التي حفظت تراث الأمم.

كانت المخطوطات تحفظ في المكتبات العامة والخزائن الخاصة وغيرها في أقاصي الصين والهند شرقاً وكذلك نجدها في بلاد الاندلس غرباً وهي تلك مستقر المخطوطات العربية، وتعددت دور الكتب التي

تحفظ فيها المخطوطات العربية إذ نجدها في مكتبات الكونغرس وجامعة برنستون في الولايات المتحدة الامريكية غرباً، وأصبح من الصعب العثور على المخطوطات بسبب هذا الانتشار الواسع[٧].

المخطوط العربي:

أن اول مخطوط عربي ظهر الى الوجود في المدينة المنورة وذلك عند ما جمع القرآن الكريم على صحائف من الرق، ثم اتسعت بذلك دائرة التأليف والترجمة لكل ما يتعلق بحياة الرســـــول ﷺ والحديث الشريف، وكانت المخطوطات يتم المحافظة عليها عن طريق خزنها في المكتبات الملكية في مجموعات منفصلة او تسليمها إلى اشخاص مختصين ويجب الحفاظ على هذا التراث منعاً لتعرضه لأي ضرر.

أن المخطوط العربي يعد أطول مخطوطات العالم عمراً وأكثرها عدداً، وقد عمل العرب على جمع هذا التراث المبعثر وإيداعه في مكان واحد وفي العصر الحالي تم تأسيس معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية وقد قام المعهد بجمع عدداً كبيراً من المخطوطات العربية من أماكن مختلفة من العالم كما قام العرب سابقا بفهرسة المخطوطات أي وضع فهارس للمكتبات التي تحتوي على مخطوطات.

وتعد المخطوطات العربية المؤرخة ذات قيمة مادية هامة إذ تعرفنا على في العصر الذي كتب فيه المخطوط مما يساعد على فهم الوسط العلمي والاجتماعي والثقافي الذي دوّن فيه المخطوط، وأن عمل الفهارس التاريخية للمخطوطات المؤرخة أي ترتيبها حسب التاريخ يعد عاملاً اساسياً يجب أن يطلع عليه أمناء المكتبات وذلك لأهميته الكبيرة في دراسة المخطوط العربي الإسلامي[٨].

المصحف الشريف:

اهتم العرب المسلمين بالمخطوطات بشكل كبير كونها السبيل الوحيد للحفاظ على الموروث الحضاري والذي يكشف ما كانت عليه الأُمة من تقدم وازدهارٍ في مختلف حقول المعرفة فهي الوعاء الذي حفظ نتاجات العقل من رقي حضاري في مختلف الفترات الزمنية، وتعكس المخطوطات مدى إسهامات الحضارة العربية الإسلامية في إغناء الحضارة الإنسانية بالتقدم والرقي.

ويعد المصحف الشريف أول المخطوطات الدينية التي وجهت إليها العناية والاهتمام والمصاحف المخطوطة تعتبر ثروة علمية عظيمة الأهمية، وكان التراث العربي الإسلامي من المخطوطات الدينية المميزة لأنه يرتبط بالقران الكريم والحديث الشريف.

وخلاصة القول: تعد المخطوطات العربية الإسلامية الإرث الثقافي والحضاري للأمة الإسلامية حيث كانت المخطوطات العربية هي الأكثر عدداً في العالم وهي موزعة في العديد من المكتبات والمتاحف في الدول الإسلامية وغير الإسلامية[٩].

١- مجلة دراسات تربوية: العدد ٤١ : ١٨٢.
٢- مجلة التراث العلمي: العدد ٣٦: ٧٢-٧٣.
٣- الوصف المادي للمخطوطات ضمن كتاب فن فهرسة المخطوطاتاً سيد ايمن فؤاد: ٦٠.
٤- اياد خالد المخطوط العربي الطباع، دراسة في ابعاد الزمان والمكان: ٩٥-٩٦.
٥- بنين احمد شوقي، دراسة في علم المخطوطات والبحث الببلو غرافي:١٥.
٦- السيد ستار، المخطوطات العربية: ٥-٦.
٧- عبد السلام احمد هارون، تحقيق النصوص ونشرها: ١١.
٨- محمود محمد، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي: ١٦.
٩- خلف، ابراهيم حسين، الاتلاف البشري للمخطوطات وسبل الحفاظ عليها:٢٠.

شهادة الإمام الباقر عليه السلام

في اليوم السابع من ذي الحجة سنة ١١٤ هجرية كانت شهادة الامام الباقر عليه السلام أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وله من العمر ٥٧عاما، وقد دسّ إليه السم هشام بن عبد الملك الأموي[١].

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: كنت عند أبي في اليوم الذي قُبض فيه، فأوصاني بأشياء في غسله وفي كفنه وفي دخول قبره، فقلت: يا أبه والله ما رأيتك منذ أشتكيت أحسن منك اليوم، ما رأيتُ عليك أثر الموت، فقال: يا بني أما سمعت عليَّ بن الحسين عليهما السلام ينادي من وراء الجدار: يا محمد تعال، عجّل[٢].

وروي أنه قال لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: يا جعفر أوقف لي من مالي كذا وكذا لنوادب تندبني عشر سنين بمنى أيام منى[٣].

عاش عليه السلام مع جدّه الحسين (عليه السلام) أربع سنين، ومع أبيه ٣٩ سنة، وكانت مدة إمامته ١٨ سنة.

وفي أيام إمامته بقية ملك الوليد بن عبد الملك، وملك سليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك، وكانت شهادته سلام الله عليه في أيام ملكه.

وقبره بالبقيع في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله إلى جانب أبيه زين العابدين عليه السلام، وعم أبيه الحسن بن علي عليه السلام[٤].

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: (دخلت على جابر بن عبد الله الأنصاري فسلَّمتُ عليه فرد عليّ السلام ثم قال لي: من أنت - وذلك بعد ما كفّ بصره- فقلتُ: محمد بن علي بن الحسين، فقال: يا بني ادن مني، فدنوت منه فقبّل يدي ثم أهوى إلى رجليَّ يقبّلها فتنحيتُ عنه، ثم قال لي: إن رسول الله صلى الله عليه وآله يقرئك السلام، فقلت: وعلى رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته، وكيف ذاك يا جابر؟ فقال: كنت معه ذات يوم فقال لي: يا جابر لعلّك أن تبقى حتى تلقى رجلاً من ولدي يقال له محمد بن علي بن الحسين يهب الله له النور والحكمة، فأقرئه مني السلام)[٥].

ومن أقواله عليه السلام: لا تتهاون في صلاتك فإن النبي صلى الله عليه وآله قال عند موته ليس مني من استخف بصلاته[٦].

وعنه عليه السلام أنه قال : ثلاثةٌ من مكارم الدنيا والآخرة أن تعفو عن من ظلمك وتصل من قطعك وتحلم إذا جهل عليك[٧].

وقال عليه السلام : إنَّ الله خبأ ثلاثة أشياء في ثلاثة أشياء، خبأ رضاه في طاعته فلا تحقرنّ من الطاعة شيئاً فلعلَّ رضاه فيه، وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقرنّ من المعصية شيئا فلعلّ سخطه فيه ، وخبأ اولياءه في خلقه فلا تحقرن أحدًا فلعلَّه ذلك الولي [٨].

---

(١) بحار الانوار ٤٦/ ٢١٧
(٢) الكافي ١/ ٢٦٠
(٣) المصدر السابق ٥/ ١١٧
(٤) اعلام الورى ١/ ٤٩٨
(٥) الارشاد ٢٧٩
(٦) وسائل الشيعة ٤/ ٢٧
(٧) تحف العقول ٢٩٣
(٨) بحار الانوار ٧٥/ ١٨٧

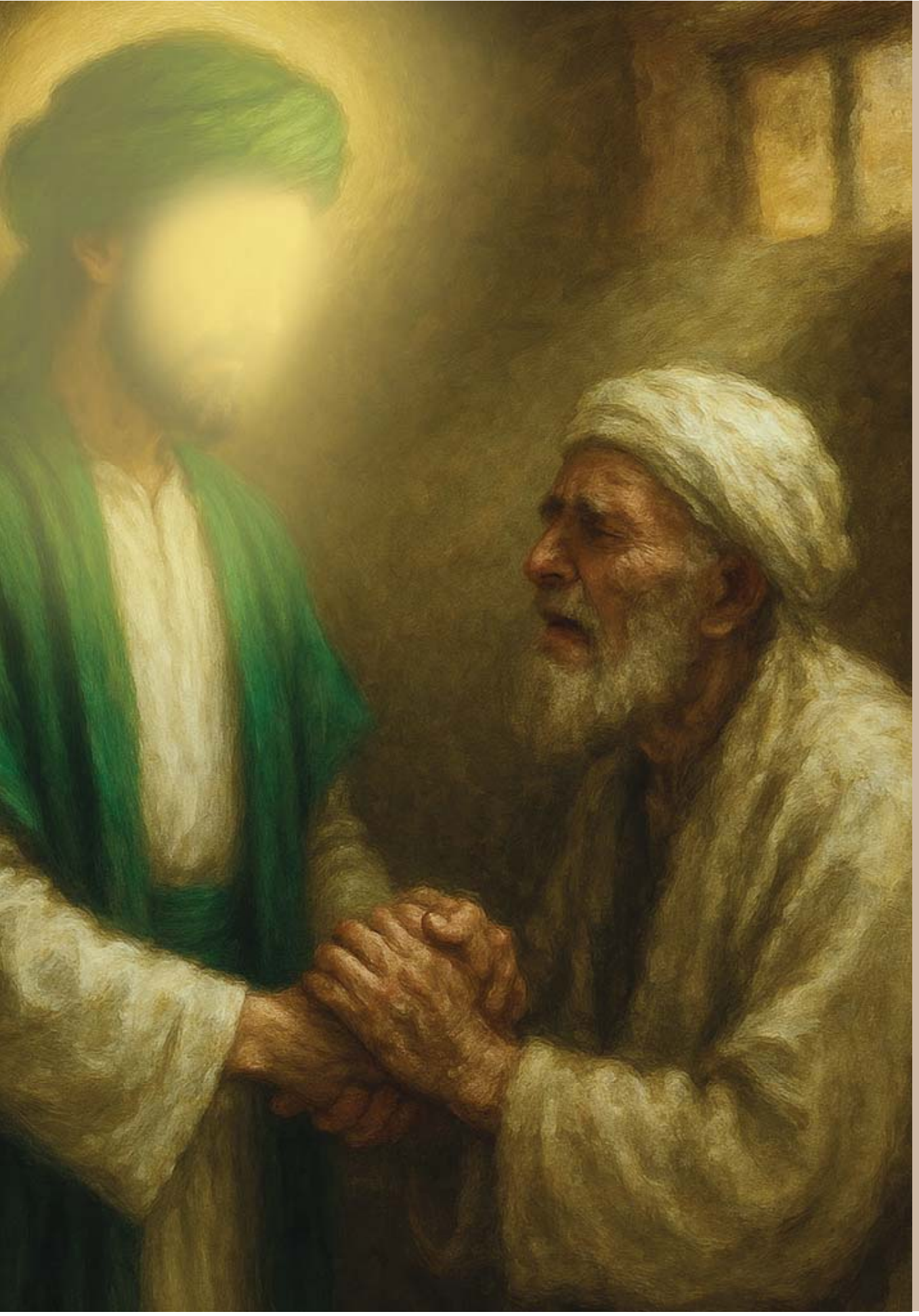

لاذوا بالجوار

- السيد عدنان الغريفي
  عـالـم فقيه أديب وشـاعـر

السيد عدنان الغُريفي
عـالم فقيه أديـب وشـاعر

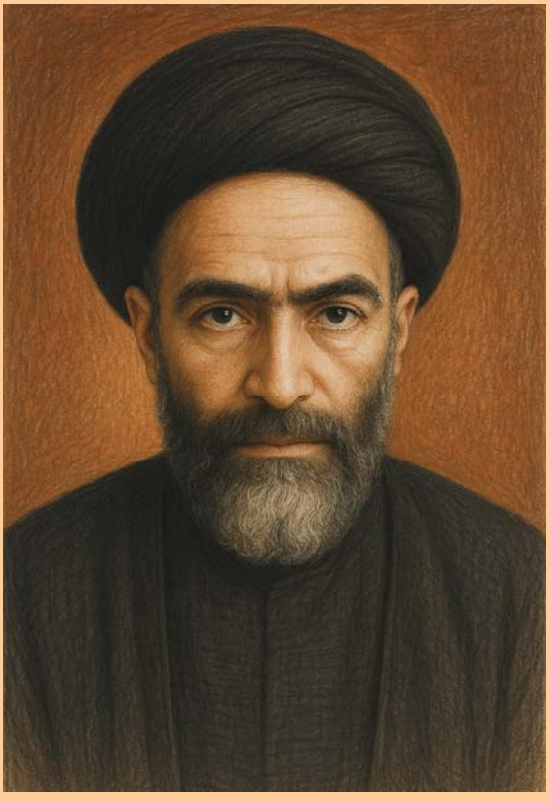

العالم الكبير والفقيه الأصولي والأديب والشاعر أستاذ في الحوزة العلمية، أجيز بالاجتهاد وهو في الثلاثين من عمره، الذي عرف بين طبقات أعلام العلم والفضل والأدب، بلغ مرتبةً عاليةً وقد برع وتضلّع من الأدب والحكمة والتاريخ والحديث والتفسير وتصدى للتدريس والتأليف، وتتلمذ عليه كثيرٌ من الأجلاء ذلك هو السيد عدنان بن شبر الغريفي.

من سيرته:

السيد عدنان بن شبر بن علي بن محمد بن علي بن أحمد الغريفي، يتصل نسبه بحسين الغريفي البحراني البصري، عالمٌ فذٌ وشاعرٌ أديبٌ.

ولد في المحمرة عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م ونشأ بها يتيماً حيث مات أبوه وهو ابن أربع سنين فكفله خاله السيد سلمان، وبعثته والدته إلى معلمة علمته حروف الهجاء.

خرج يوماً يلعب مع الصبيان فلقيه أحد علماء المحمرة الشيخ خلف آل عصفور فوقف يداعبهم وكان دمث الأخلاق فقبّل الأطفال يده إلّا السيد المترجم له، فالتفت الشيخ إلى بعض الأطفال وقال من هذا الطفل؟ فأجابه أحدهم: ابن السيد شبر، فقال له: أي بني لماذا لم تقبل كما صنع أصدقاؤك؟

أجابه: إنّني سيد وأنت عامي فقال الشيخ: أنا عالم، أجابه: سأقرأ العلم وأنت مكلّف ومن شأنه الذنب ولست بمكلف، فعجب الشيخ من حدة ذكائه، وقال له: رحم الله أباك لقد كان شاعراً هل تستطيع نظم الشعر؟ فقال: ما الشعر؟ قال له، تتغزل في شاب مثلك مثلا (وحدك لا شريك لك) أي الجمال فقال مرتجلاً:

رأيت بـــدرا قد بـــدا يـزري ببدر في الفـلك

فقال لي هـــل نظـــرت عينـــك كالذي قتـلك
فقلـــت لا وخـالقـــي مـن الجـــمال فضـــلك
لم تـــر عيـــني أبـــدا وحـــدك لا شريـك لك

وقعت هذه القصة وهو في مدخل السنة الثامنة من عمره، فقال الشيخ خلف لأن أبقى الله هذا الطفل ليكون حجة من حجج الاسلام.

دراسته:

في السنة الرابعة عشرة هاجر إلى النجف الأشرف وقد كفل آنذاك معيشته أحد أعيان المحمرة الحاج حمود البحراني، وخصّص له مبلغ أربعمائة ريال إيراني سنويا، فدرس فيها أربعة عشر عاما وتخرج على علمائها.

قرأ المقدمات على عمه السيد علي البحراني وحضر البحث (الخارج) في الفقه والأصول عند الشيخ محمد طه نجف وأجيز منه ومن الميرزا حبيب الله الرشتي والميرزا حسن الشيرازي.

أخذ العلم عنه جماعة في النجف ومنهم: السيد ناصر البحراني، السيد صالح الحلي.

ذكاؤه وفطنته:

ورد في شعراء الغري للخاقاني: ومن أخباره التي حدثني تلميذه السيد علي الخطيب قال: سمعت من المترجم له قال: إنني أحفظ من شعر بنات العرب البكر أربعة عشرة الف بيت أما الثيبات فحدث ولا حرج.

في مقتبل عمره أنّه قال: أردت أنْ أقرأ علم الكلام على المرحوم عمي السيد علي البحراني فامتنع إلاّ أنْ يجري عليه الامتحان بتجزئة الفكر فامتحنني بذلك وهو أن يقرأ ويكتب ويسمع في آنٍ واحد لثلاث نفر على أنْ لا يقع في الأمر أي اختلال.

ومن نوادره في الذكاء قال: كان أستاذي الشيخ محمد طه نجف أقرأ له بعض كتب التدريس بعد أنْ ذهب بصره وقد ألّف شرحًا على كتاب التبصرة فكتبته له فصمّم أن يقوم بطبعه ولما هيء للطبع فإذا هو قد فُقِد فتأثر الشيخ لضياع هذا الأثر النفيس ولذهاب تلك الجهود وزاد ذلك الحاح القوم عليه بنشره.

ولما شاهد المترجم استياء استاذه قال له إنّي مستعد لإعادته من جديد وبالصورة الحرفية فكتبه وأعطاه إلى أستاذه فتوقف الشيخ عن طبعه ولم تمض أيام إلّا وقد عثر الشيخ على النسخة الأصلية فطلب مقابلتها وإذا بها لم تنقص ولم تزد حرفًا فعجب القوم لشدة ذكاء الغريفي وقوة حافظته بمعرفة الألفاظ.

تميز السيد الغريفي بقوة ذاكرته وحافظته القوية و(كان لا يسمع شيئاً إلاّ حفظه حتى اللغة الأجنبية من مرة على الأكثر، من مرتين نادراً كاللغة التركية والفارسية والهندية والانجليزية، وبهذا أصبحت أصدق ما ذكره التاريخ عن ذكاء أبي العلاء، وحماد عجرد وأبي تمام في استحضارهم ثلاثين ألف أرجوزة للبنات البكر من العرب).

مؤلفاته:

- أنساب العرب.
- حاشية العروة الوثقى.
- حاشية القوانين في الأصول.
- ديوان شعره.
- قبسة العجلان في صلاة أهل الايمان.
- مناسك الحج، منظومة في الحج وأسراره.
- نظم حديث الكساء.

شعره وشاعريته:

إن السيد الغريفي غنيٌ عن الإطراء في الشاعرية فهو عبقري الشعور، حاد الذهن واسع الخيال حر الرأي والتفكير كان سريع النظم قوي البديهة لم

يتكلف في شعره.

قال علي الخاقاني: ((لو جمع شعره لزاد على مائة ألف بيت؛ لأنه كان سريع النظم، قوي البديهة، ولم يتكلف في شعره ببيت واحد... وقد عانيت في سبيل جمع بعضه حتى وجدت له ديواناً يقع في ١٦٠ صفحة))

ومن شعره قوله في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

إمامُ الهدى وغياثُ الورى
وحاكمُها السيدُ المُقسطُ
إمامٌ بهِ هلكَ المبغضونَ
وفي حبّهِ هلكَ المفرطُ
كلا الجانبينِ عدوٌّ لهُ
وشيعتُهُ النمطُ الأوسطُ

وقال أيضًا:

إنَّ مكنونَ سرِّ عينِ عليٍّ
حارَ فكرُ الأنامِ والعقلُ فيهِ
بعضُهُ علّةُ الوجودِ وذاكَ الـ
ـبعضُ قد أوقعَ الورى في التيهِ

وله من الشعر أيضاً:

أبا حسنٍ ليسَ المديحَ ببالغٍ
مقامَكَ حتى يجزيَ اللهُ شاكرُ
وإني وان أفنيتُ عمري بمدحِكمْ
بأكبرَ مما أستطيعُ لقاصرُ

وله في حق أمير المؤمنين عليه السلام أيضا:

لك الحكم والعفو قد أصبحا
وزيرين دون الورى يا علي
لرفعة شأنك خط القضا
على كل وجه علي علي

قالوا فيه:

قال عنه السيد محسن الأمين: (عالم فقيه أصولي أديب شاعر)

وقال السيّد حسن الأمين: (كان فقيهاً أُصولياً، نسّابة شاعراً، متميّزاً في الحفظ وسرعة البديهة)

وقال الحاج حسين الشاكري: (عالم فذ وشاعر أديب)

وقال الشيخ أغا بزرك الطهراني: (عالم كبير، وفقيه بارع... فلا شكّ في أنّه كان على جانب كبير من الفطنة والذكاء، وسرعة البديهة، والقدرة على الحفظ، وأصبح في عداد الأجلّاء البارزين، والفقهاء المجتهدين، ووجوه رجال الدين).

وفاته ورثاؤه:

تُوفي الغريفي في الكاظمية بعد أنْ نقل إليها من البصرة إثر تعرضه لمرض شديد فنقل جثمانه إلى النجف الأشرف، وصلّى عليه السيد أبو الحسن الموسوي الإصفهاني، ودُفن في الصحن الحيدري الشريف.

أرخ وفاته الشيخ جمعة الحائري بقوله:

ونعى به الروحُ الأمينُ مؤرِّخاً
عدنانُ قُوِّضَ بعدكَ الإسلامُ

---

١. شعراء الغري الجزء ٦ ص ١٧٨
٢. مشاهير المدفونين ٢٨٨
٣. علي في الكتاب والسنة والادب الجزء ٥ ص ٥٤
٤. مستدركات أعيان الشيعة - حسن الأمين - ج ٢ - ص ١٧٢ - ١٧٣.

كتاب العروة الوثقى

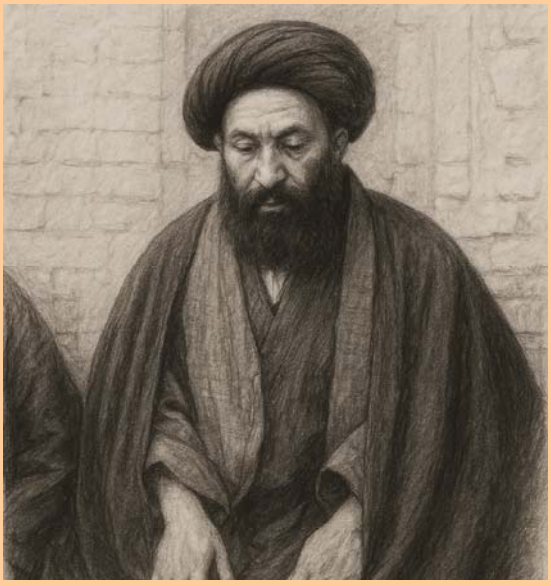

السيد محمد كاظم اليزدي (١٢٤٧ هـ - ١٣٣٧ هـ) كان من أبرز المراجع الشيعية في عصره، تولّى القيادة الدينية والسياسية والمرجعية عند الشيعة في النجف. وكان لغويًّا متقنًا فصيحًا قيماً بالعربية والفارسية. ولد في قرية كسنوية في محافظة يزد في إيران عام ١٢٤٧ هـ ودرس المقدّمات في مدينة يزد ثم سافر إلى مدينة مشهد وبعدها إلى إصفهان لإكمال دراسته، ثم رغب في تحصيل الاجتهاد، فعزم على الهجرة إلى مدينة النجف الأشرف عام ١٢٨١هـ واستقر بها، فنال رئاسة واسعة النطاق خصوصاً في أيامه الأخيرة وقد أصبح الفقيه الأعظم والزعيم المطلق.

ألّف كتاب العروة الوثقى هو الرسالة العملية لآية الله محمد كاظم اليزدي، وهي تحتوي على الفتاوى والأحكام الشرعية في العبادات للمقلدين. تُعدُّ هذه الرسالة من أشهر الكتب الفتوائية بين الفقهاء والمجتهدين الشيعة؛ وقد أصبح هذا الكتاب مدار أبحاثهم في البحوث الفقهية الاستدلالية والتي تسمّى بالبحث الخارج في الحوزات العلمية. ومن معالمه كثرة الفروع والدقة في التعبير عن الأحكام الشرعية، فهو كتاب حسن الترتيب وفيه فروع كثيرة، طرح فيها كل فرع على حدة بعنوان مسألة وجعل لأعداد مسائلها أرقاما لتسهيل التناول منها. يشتمل الكتاب على ثلاثة آلاف ومئتين وستين مسألة، تم تجميعها في ثلاثة مجلدات. وقد اشتهر مؤلفه باسم «صاحب العروة». وقد وصف الشيخ محمد تقي الآملي الكتاب بأنه «لم يسبقه سابق بمثله ولم يلحقه لاحق حتى الآن».

ولهذا الكتاب شروح وتعليقات وحواشي كثيرة من أهمها:

- مستمسك العروة الوثقى، للسيد محسن الحكيم
- مصباح الهدى، للشيخ محمد تقي الآملي.
- مهذب الأحكام، للسيد عبد الأعلى السبزواري.
- كفاية الفقه المتعلقة بالعروة الوثقى من تقريرات الملا محمد كاظم الخراساني وتحرير السيد محمد كاظم الطباطبائي الكوهكمري.
- دليل العروة الوثقى، للشيخ حسين الحلي.
- مباني العروة الوثقى، للشيخ محمد تقي الفقيه
- بحوث في شرح العروة الوثقى، للسيد محمد باقر الصدر.

مسابقة العدد 191

مسابقة علمية خاصة بهذا العدد،
يمكنكم الاشتراك بها إلكترونياً
عبر مسح الباركود

علماً إن أجوبة الأسئلة تجدوها في مقالات هذا العدد

آخر موعد للمشاركة يوم 29 ذو الحجة

هناك هدايا مالية لثلاثة فائزين

تعلن أسماء الفائزين في
المسابقة عبر قناة مجلة
الولاية في التلكرام